"The Samaritans"
Elias MARMOURAH,

السامريون

والكتاب يتضمن تاريخ السامريين واصلهم ومنشئهم واعيادهم
ومقادسهم وتوراتهم والفروق بينهم وبين اليهود
وفيه لمح من تاريخ شكيم (نابلوس) والسامرة (سبسطية) وآثارهما

لمؤلفه

القس الياس مرموره

يطلب من مكتبة فلسطين العلمية . القدس
ومن المؤلف بالقدس

مطبعة دار الايتام السورية ه القدس



القس الياس مرموره

المقدمة

هذا الكتاب مجموع مقالات من قلم المؤلف نشرت تباعاً في مجلة الاخبار الكنسية . وكان الغرض الاصلي منها شرح امر السامريين الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس . والذي حدا بالكاتب الى طرق هذا الموضوع اقامته ما يزيد عن ١٥ سنة في مدينة نابلوس واتصاله بالسامريين واطلاعه على كثير من اقوالهم وآرائهم الدينية والتاريخية سيما اصلهم وعلاقتهم باليهود مما يجده القارىء في الكتاب وهي امور تهم دارسي الكتاب المقدس . زد على ذلك ان وجود هذه الجماعة الصغيرة في نابلوس وبقاءها الى هذا التاريخ مما يدعو الى التساؤل عن أصلها ومنشئها وتاريخها . وقد ذكرنا خلاصة ما يعرف من تاريخ شكيم (نابلوس) والسامرة (سبسطية) القديم وقليلاً من تاريخها الحديث مما يتناسب مع موضوع البحث . اما تاريخ نابلوس الحديث تفصيلاً وتاريخ عيالها فليسا من متناول هذا الكتاب ولعل غيرنا يطرق هذا الباب ويفيه حقه . ومع ان مدينة السامرة لا اهمية لها عند السامريين بل هم يتنصلون من الانتساب اليها الا انها لما كانت في كورة السامريين ولا ريب في انهم سكنوها مدة من الزمان رأينا تتميماً للفائدة ان نذيل الكتاب بخلاصة ما اسفر عنه التنقيب والحفر فيها قبل الحرب العمومية وبعدها . اما تاريخها قبل ان استولى عليها ملوك اشور فوارد في سفر الملوك الثاني فليراجع في محله . وقد ذكرنا المصادر التي استقينا منها واكثرها باللغات الاجنبية ونحن نعترف لاصحابها بالفضل في ما نقلناه . وقد اعتمدنا في ما

كتبناه عن آثار السامرة بعد الحرب العمومية على تقرير بعثة الحفر البريطانية في فلسطين (Quarterly Statement of the Palestine Exploration Found) . واني شاكر في تحرير بعض فصول الكتاب للقس نجيب قبعين وللكاهن عمران بن اسحق على مساعدتهما

وقد ورد في الكتاب تهجئتان لمدينة نابلوس بالواو وبدونها والمقصود البلدة الواحدة وانما جرى ذلك سهواً كما انه وقعت اغلاط مطبعية وغيرها نبهنا عليها في آخر الكتاب

القدس شباط سنة ١٩٣٤ — المؤلف

القس الياس مرموره

السامريون

لا نذكر انا طالعنا في العربية عن السامريين سوى مقالة واحدة قيمة للمرحوم جرجي زيدان نشرها على اثر زيارته لفلسطين ولنابلس سنة ١٩١٣ . وقد كنا حينئذ في نابلس ورافقناه في زيارته حي السمرة وكنيسهم وقد اطلع على توراتهم القديمة وابدى رأيه فيها كما سنذكره فيما بعد . وقد كنا في اثناء اقامتنا في نابلس نبحث كثيراً مع كهنتهم ونطالع بعض تواريخهم وكتبهم المكتوبة بالعربية علّنا نوفق الى تأليف خلاصة يوثق بها عن تاريخهم فعثرنا على تاريخ لهم باللغة العربية ولكننا بعد تصفحه وجدنا فيه خلطاً كثيراً بين اليونان والرومان والبيزانطيين ولم يمكنا استخلاص حقائق يعتمد عليها التاريخ . ولكننا عثرنا على رسالة كتبها باللغة العربية المرحوم الكاهن الكبير يعقوب ابن هرون للبحاثة القس وليم بارتن الاميركي فترجمها القس المومى اليه الى اللغة الانكليزية . ثم وقع في يدنا كتاب موضوعه السامريون للعلامة مونتغوميري بحث فيها بحثاً مستفيضاً في السامريين وتاريخهم وآثارهم وهو احسن ثقة في الموضوع فاعتمدنا على هذه الكتب الثلاثة وعلى ما كنا نسمعه من السامريين انفسهم في كتابة هذه المقالة. وليس لنا من غرض في كتابة ما نكتب سوى اطلاع القراء على تاريخ فرقة هي اقرب الناس الى اليهود ديناً ولساناً وقد كان لها في التاريخ شأن كبير معهم . وهي وان تكن في الوقت الحاضر فئة قليلة الا انه مر عليها زمن كانت تقارب سكان اليهودية عداً ولا تقل عنهم بأساً . وقد نازعت اليهود السلطة والنفوذ مدة من الزمن وظلت متربعة حول مقدسها في جبال السامرة بضعة اجيال مع ان اليهود هدم مقدسهم وتشتتوا بعد خراب اورشليم ومنعوا عن السكن في جوارها مدة طويلة . وسننشر في هذه المقالة اولاً مقالة السامريين انفسهم في اصلهم ومنشئهم وسبب افتراقهم عن اليهود . ثم شيئاً عن تاريخهم وتوراتهم

وهنا ننبه القارىء الى ان السامريين لا يقبلون من توراة اليهود سوى اسفار موسى الخمسة مع بعض تغيير فيها ويرفضون بقية الكتب . على ان المنتظر من أمة سكنت جنباً لجنب مع اليهود مدة طويلة كما تدعي ان يكون عندها تواريخ معتبرة عن ملوك اسرائيل اي ملوك المملكة الشمالية التي كانت تضم اباءهم ولكن ليس لديهم سوى نزر يسير لا يلقي نوراً على شيء من تاريخ تلك الايام .

(١) اصل السامريين

ينسب اليهود السامريين الى مدينة السامرة وكورتها التي اختلفت حدودها في ازمنة مختلفة على انها عادة تناولت سبطي افرايم ومنسى فامتدت من بيت ايل او شماليها الى حد سهل يزرعيل الجنوبي. وقد ورد في سفر الملوك الثاني الاصحاح السابع عشر ان ملك اشور (والمعول عليه انه سرجون) اخذ السامرة بعد حصارها ثلاث سنوات وسبى اسرائيل الى اشور واسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي . وفي الاية ٢٤ من ذلك الاصحاح يقال ان ملك اشور اتى بقوم من بابل وكوت(١) وعوّا وسفروايم واسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها . ولما كانوا في ابتداء سكنهم لا يتقون الرب ارسل عليهم السباع ففتكت بهم فارسلوا الى ملك اشور يطلبون منه ان يرسل اليهم كاهناً يعلمهم قضاء اله الارض فلا تقتلهم السباع. فاتى واحد من الكهنة الذين سبوا من السامرة وسكن في بيت ايل وعلمهم كيف يتقون الرب على انهم خلطوا بين عبادتهم الصنمية وعبادة يهوه. كذا ورد في التوراة. على ان السامريين ينكرون ذلك ويدعون ان اسمهم ليس السامريين بل الشوميريم وهي لفظة معناها المحافظون اي انهم هم المحافظون على الديانة القديمة والذين بقوا امناء لها من سائر بني اسرائيل ويدّعون انهم سبط يوسف ما عدا كهنتهم الذين هم من سبط لاوي. اما سبب انفصالهم عن اليهود فيتلخص في ما يلي:

يقول السمرة ان بني اسرائيل بعد دخولهم ارض كنعان بست سنوات نصبوا خيمة الاجتماع على جبل جرزيم (لا في شيلوه كما يقول اليهود) وظلت الخيمة على ذلك الجبل المقدس يكهن فيها الاحبار نسل هرون فكهن فيها العازار بن هرون وفينحاس ابنه ثم الكهنة ايشوع وششّي وبُقي(٢). وانتهت خلافة الكاهن الاعظم بعد بقي الى ابنه عزة غير ان عزة عند موت ابيه كان في سن الثالثة والعشرين اي دون الثلاثين وهي السن التي يبتدىء الكاهن فيها وظيفته. وكان حينئذ عالي الكاهن وكيلاً على العشور والذبائح والتقدمات وكان يذبح تحت مناظرة

---

(١) واليهود يسمون السامريين كوتيين

(٢) يقول السمرة ان قبور هؤلاء الأحبار الاربعة واثنين بعدهما في خربة مختا وهي على تل على يمين السائر من نابلس الى القدس غربي سهل عسكر (مختا) اما قبر العازر وفينحاس فهما في قرية عورتا وهي جبعة فينحاس) يشوع ٢٤:٣٣

الكاهن الاعظم على المذبح الحجري خارج الخيمة لا على مذبح النحاس داخلها . وكان عالي (وهو المذكور في ١ صم ١و٢) من نسل ايثامار اخي فينحاس ابن هرون . اما رئاسة الكهنوت فكانت محصورة في نسل فينحاس كما في سفر العدد الاصحاح ٢٥ : ١١ . ولما كان عزة الوارث الشرعي قاصراً وكان عالي متوكلا على الذبائح والتقدمات والعشور وقد اثرى منها طمحت نفسه الى رئاسة الكهنوت نظراً لتقدمه في السن وصغر عزة

وقد كان قبل كهانة عزة قاضٍ ملك لاسرائيل اسمه عنتئيل (ولعله عثنئيل) ذو حول وطول فذاع صيته واشتهر امره على انه توفي قبل رئاسة عزة بتسع سنوات وصار الامر بعده الى شمشون الجبار فنكل بالامم الذين حوله واهلك منهم خلقاً كثيراً . على ان بني اسرائيل من ذلك الحين جعلوا يختلطون بالامم المجاورين فأصهروا اليهم واقتبسوا عوائدهم وعباداتهم الوثنية . وقرأ الامم في كتب بلعام ان شعب اسرائيل لا يُقهر الا بافسادهم واغوائهم وتعليمهم السحر وتحويلهم عن دياناتهم . فدسوا اليهم بالسحرة فجالوا بينهم وعلموا كثيرين السحر . واتصل الامر الى الكهنة ففسدوا هم ايضاً وفسق كثيرون من بني اسرائيل عن دياناتهم وكفوا عن استقبال جرزيم في صلواتهم وعبدوا الاصنام وامتد الفساد حتى آل الامر الى انخذال شمشون وانتصار الفلسطينيين عليه . وحينئذ ظهرت امور كانت في النفوس.

وذلك ان عالي طمحت نفسه الى رئاسة الكهنوت وأنف ان يكون خاضعاً لعزة وهو دونه سناً فقال لبطانته وحاشيته لست اطيق ذلك على نفسي فاطلب اليكم ان لا تخضعوا له . وجعل يرشوهم ويحرضهم على العصيان حتى اجتمع اليه عدد كبير عاهدوه ان ينقادوا اليه ويأتمروا بامره واقسموا له يمين الطاعة . ثم اوعزوا اليه ان يتوسل الى غايته بما تعلمه من السحر . فجعل يفكر في الامر حتى اصبح شغله الشاغل .

وذات يوم قدم على المذبح تقدمة دقيق ونسي ان يضع ملحاً لما كان عليه من انشغال البال بمأربه فوبخه عزة على اهماله فاغتاظ قوم عالي وانتصروا له ونشأ خصام امتد لهيبه واتسع فانشطر بنو اسرائيل شطرين . فلزم عزة الكاهن بنو يوسف من اهل شكيم وجوارها واهل يابيش . وانحاز يهوذا وبنيامين الى عالي بن صفني

فهجر عالي وقومه جبل جرزيم وذهبوا الى شيلوه وسكنوا بها وبقي عزة في الخيمة في جرزيم . وجعل عالي يبث دعوته بين بني اسرائيل داعياً اياهم ان يأتوا الى شيلوه ويشاهدوا المعجزات والايات التي تجري هناك . واخذ عالي معه نسخاً كثيرة من التوراة مكتوبة بخط جده

ايثامار الكاهن. على ان هذه النسخ كانت صحيحة ولم يغير منها عالي شيئاً. ولكنه عمل صندوقاً غشاه بالذهب كتابوت العهد وضع عليه كروبيم وادعى انه التابوت وانه اتصل اليه بوسائل الهية ولم يغير عالي شيئاً من شريعة موسى ولكنه ابدل المكان المختار

اختفاء تابوت العهد. وغضب الله على بنى اسرائيل لانقسامهم فأخذ منهم خيمته واخفاها عنهم. وذلك انه بعد انفصال عالي وجماعته عن جرزيم واعتزالهم الى شيلوه ظل مع عزة الكاهن نحو سبعين الفاً او يزيد من بني اسرائيل لحمايته. وجعل عزة يدخل الخيمة لكنه لم يعد يرى علائم الرضى الالهي التي كانت تحف بالمكان بل خيم عليه ظلام دامس فجزع للامر وكان ذلك يوم الاثنين. وظل يدخل المكان حتى يوم الاربعاء وفي يوم الخميس لحظ ان الظلمة اخذت تتزايد حتى غطت جدران المكان. ووجد انه كلما توغل في الاقسام الداخلية كانت تلك الاقسام تختفي. ولما خرج شاهد في جوار الخيمة كهفاً مفتوحاً لم يكن ابصره من قبل لا هو ولا أحد من خدمة الخيمة. واوحى الله اليه ان يخبىء فيه آنية الخيمة فجمع كل انية الذهب والفضة والملابس الثمينة ووضعها فيه وادخل اليه ايضاً تابوت العهد(١) وحالما انتهوا من العمل أطبق فم الكهف بقوة الهية. ولما ابصر الكاهن ومن معه ما حدث شرع يكتب على فم الكهف ما كان لكنهم لما جاؤوا في الغد للصلاة لم يجدوا الكهف ولا الكتابة. ولما سمع بنوا اسرائيل ما جرى مزقوا ثيابهم وناحوا هم وكهنتهم وتابوا الى الله وحدث ذلك في السنة ٣٠٥٥ للخليقة

وليعذرنا القارىء اذا خرجنا قليلا عن سياق البحث وذكرنا خلاصة ما يحتويه تاريخ السامريين عن اخبار بني اسرائيل الى الجلوة البابلية ليقابل بين اخبارهم واخبار التوراة اليهودية.

وعلى اثر اختفاء المسكن في جرزيم اخذ نفوذ عالي يتزايد واستعان برجل اسمه ابا لكوة فصنع له مسكناً كالمسكن الاصلي وجعل دعاته يحملون الناس على زيارة مسكن شيلوه مدعين انه المسكن الحقيقي

ويتلو ذلك حديث صموئيل وقد احضره الى شيلوه ابوه القانة من عائلة ياهات من بني ايصوف ابن قورح ابن يصهار الذي تمرد على موسى وابتغى الكهنوت فابتلعته الارض. اما ابن القانه فهو اسماعيل واليهود يسمونه صموئيل. وتبنى عالي صموئيل وعلمه كل ما يعرفه من السحر وذلك لان

---

(١) هذا يشبه ما ورد في سفر المكابيين الثاني ص ٢ : ٤ — ٩ عن امر الله لارميا ان يخبىء المسكن والتابوت انظر التوراة اليسوعية.

ابنيه حفني وفينحاس كانا شريرين كما ورد عنهما في سفر صموئيل الاول . وتعلم صموئيل السحر والتنجيم من رجل يوناني الاصل كان اعظم فلاسفة عصره واسمه ابراهمخ . وكان شأن هذا الرجل افساد بني اسرائيل والقاء الخصام والشقاق بينهم .

ويتلو ذلك خبر حرب الفلسطينيين مع بني اسرائيل التي فيها أخذ التابوت الذي صنعه عالي وموت عالي وابنه كما هو مذكور في ١ صم ٤ . اما سبب هذه الحرب فهو سماع الفلسطينيين بالانقسام الذي جرى بين بني اسرائيل عن يد عالي الكاهن .

ويأتي بعد ذلك خبر انتخاب صموئيل لشاؤول وتنصيبه ملكاً على اسرائيل . وقد استمال شاؤول جميع اسرائيل ولم يبق من تابع للكاهن على جرزيم حفيد هرون . على ان الفتنة سرت في بني اسرائيل فانقسموا احزاباً وتآمر صموئيل وشاؤول ويسى وداود على سبط يوسف لانهم لم يتبعوا مقدس شيلوه ولانهم بسبب ضعفهم وبسبب ضلالة صموئيل وشاؤول حالفوا الامم الذين حولهم . فسار شاؤول الى مرج البها (اي سهل عسكر قرب نابلس) بجيش وهجم على بني يوسف على غرة في عيد المظال وقتلوا منهم خلقاً كثيراً كباراً وصغاراً وفتكوا بالسابلة في مختلف الطرق وقتلوا الكاهن العظيم ششي ابن عزي في مدينة سالم(١) وصعدوا الى جبل جرزيم وهدموا مكان العبادة وحجارة الشريعة وامسكوا الاشراف الذين التجأوا الى القدس وذبحوهم وظلوا اربعة ايام يهدمون قلعة لوزة(٢) لانها كانت مدينة عظيمة وظلوا معسكرين في مرج البهاء مدة ثلاثين يوماً يقتلون اي من وجدوه . ومُنع بنو يوسف من الدنو من جبل جرزيم مدة ٢٣ سنة لم يحجوا فيها اليه ولا اقاموا عليه اعياداً . على ان التوراة لم تكن الى ذلك الوقت غيرت . وبلغ الضيق ببني يوسف أشده من شاؤول فاجتمعوا في نصف الليل وهربوا من اعدائهم وسكن بعضهم عند ملك بوساس وسيسار . (كذا)

ملك داود . ومات شاؤول وبنوه الثلاثة وخلص الملك لداود فجعل يابيس عاصمة له ونقل اليها تابوت شيلوه لكن البقرة التي كانت تجره نطحت الكاهن الذي كان يستقبله فوضع التابوت في بيت ارملة حيث مكث زمناً طويلا

---

(١) هي الان ضيعة سالم شرقي نابلس

(٢) يقول السامريون ان لوزة هي لوز المذكورة في تك ٢٨ : ١٩ اذ يزعمون ان بيت ايل على جبل جرزيم ويرونك اثارها ويسمونها خربة اللوزة

امتناع داود عن بناء الهيكل. وطلب قوم داود منه ان يبني هيكلاً للرب ليضع فيه التابوت . فسمع بذلك يبري الكاهن العظيم السامري (١) فارسل الى داود يقول ان ذلك جائز لكنه يجب ان يكون على جبل جرزيم بحسب نص التوراة . اما علاقة داود بيبري فهي ان داود عندما فرّ من وجه شاؤول كان يتردد على سبط يوسف وصادق الكاهن يبري وكان يقدم عشوره وتقدماته الى جرزيم . فلما اخذ داود الرسالة كف عن البناء واعتذر لقومه بان الله نهاه لانه رجل دماء وان ابنه يبنيه .

بناء سليمان للهيكل. وبنى سليمان الهيكل في السنة ٤٨٠ لخروج بني اسرائيل من مصر وهي السنة المئة والعشرون لاختفاء المسكن على جبل جرزيم وصنع له سبع منابر من ذهب لان آنية شيلوه كان قد سرقها الكنعانيون . وطلى داخل الهيكل بذهب وصور عليه صور جميع الطيور وركب الهيكل على دواليب حتى يمكنه نقله حيثما شاء . وسخر سليمان الجن لبناء هيكله وصنع لنفسه عرشاً يفوق الوصف . وبنى بيتاً لابنة فرعون عمل فيه ١٢٧ من صناعه . وقرّب عند تدشين الهيكل ١٢ الف خروفاً ووضع فيه التابوت الذي صنعه عالي . لكن سبط يوسف لم يخضع له فاقام عليهم يربعام الذي ظلمهم واستولى على اموالهم وأخيراً عصى على سليمان .

ملك رحبعام : وبعد موت سليمان ادعى قومه ان الهيكل الذي بناه سليمان نزلت على مذبحه النار من السماء واكلت المحرقات وان اورشليم مكان مقدس مثل جرزيم . وجاء رحبعام الى مرج البهاء (سهل عسكر) ليملك على اسرائيل اتباعاً لطريقة يشوع وهناك حدث الانقسام كما هو مذكور في سفر الملوك الاول .

يربعام : اما يربعام فلما سمع بفشل رحبعام عاد الى شكيم واخضع تلك الانحاء واستمال معظم الاسباط وامتدت سطوته فاذل اعداءه وملك على سبط يوسف وعائلة فنحاس الامين وسامهم انواع العذاب وقتل منهم خلقاً كثيراً وزاد بغياً على داود . وكان بنو اسرائيل حينئذ اربعة اقسام قسم كان يحلف باسم جرزيم وقسم باسم يابيس (اورشليم) وثالث كان عاكفاً على الاوثان والرابع انحاز الى يربعام الذي ذهب الى سبسطية (٢) واتخذها عاصمة ملكه وجعل فيها رئيس كهنة واضل معه ستة من الاسباط ! وثقلت يده على سبط يوسف على انهم كانوا دوماً

---

(١) ورد في ٢ صم ٢٠ ، ٢٦ ان عيرا اليائيري كان كاهنا لداود . ولا يعلم من هو عيرا هذا

(٢) ان سبسطيه وهي السامرة ورد في ٢ مل ٢٦ : ٢٤ بناها عمري بعد يربعام بزمان !

يقاومونه ولم ينقادوا الى طرقه وحافظوا على شريعة موسى وكلما كان يجلوهم عن جبل جرزيم كانوا يعودون اليه واذا أجبروا على مفارقته كانوا يستقبلونه في صلواتهم كما كان يفعل ابوهم ابراهيم .

واشتدت في ايام رحبعام الدعاية لاورشليم انها المقدس والمكان المختار من الله. غير ان سائر بني اسرائيل لم يرضوا عن سبط يهوذا فجرت بينهم حروب خربت فيها اورشليم مراراً وقتل اهلها . ولم يجسر بنو يهوذا ان يحملوا يابيس (اورشليم) على ان تسقط دعواها بكونها مقدس الله بل ظل اهلها يعبدون في هيكلها المبني على بيدر يبوسي حيث كانوا اليبوسيون يقدمون ذبائحهم واتبعوا عوائد اسلافهم .

خراب اورشليم : ثم ان يربعام والشعب الذي كان يحكمهم غزاهم ملوك اشور (كذا) فاخذوا مدنهم وقراهم واستولوا على ايليا (اورشليم) وسبسطيه وساقوا الشعب الى الأسر . وبعد ان خربت سبسطية وفلحت كما يفلح الحقل قام رجل غني من بني يوسف واشترى المدينة من احد امراء اشور واسمه سامر (١) (او شامر) بوزنتين من الفضة وبعض الاشوريين الذين سكنوا بين بني اسرائيل اسمهم شاما رونين الى هذا اليوم . وبنى هذا الرجل المدينة وسكنها هو وقومه واطلق عليها اسم السامرة للسبب الذي مر .

الجلوة البابلية . ثم ان العمونيين ! اخربوا المدينة مرة ثانية . وكان ذلك في ايام يواكيم في ايام حكم بختنصر ملك الفرس ! اما بختنصر فكان ساكناً في نواحي العراق وكان يواقيم حاكما على بني اسرائيل بارادته . ثم جاء بختنصر الى ارض اسرائيل وحاصر ايليا (اورشليم) وفتحها ونهبها وساق الكهنة والشيوخ وجلا سبط يوسف من النواحي التي سكنوها ارض بابل . وجلا ايضاً سائر اسباط اسرائيل وأمرهم ان يذهبوا الى جهات حاران فتشتتت جميع اسرائيل وحدث هذا الجلاء في ٣٥٥٠ للخليقة على حساب السامريين . وارغم ملك الاشوريين بني اسرائيل على الجلاء عن اوطانهم وكان يقتل كل من امتنع ودامت الجلوة ٧٠ سنة وبعدها عادت فرقة من بني اسرائيل الى ارض كنعان وسكنت فيها .

على انه لم يستقر المقام بتلك الفرقة بل في نهاية سنة من رجوعها جاء ملوك اليونان (كذا) وجلوهم مدة ١٣١ سنة . والملك الذي جلاها جاء اولا على ايليا (القدس) وفتحها وقتل كثيرين

(١) قابل هذا بما ورد في ٢ مل ١٦: ٢٤

من سكانها واخذ نساءها واطفالها الى ارض بابل ثم تحول الى السامرة على سبط يوسف فجلاهم. وحمل ملك الايوانيين (اليونان) شعباً عربياً على الهجرة الى ارض كنعان مكان الاسرائيليين. وحدث قحط وجوع في ارض كنعان مدة سبع سنوات غلا فيها العيش وهلك خلق كثير حتى جرأت الحيوانات الضارية وهاجمت الناس. فارسلوا الى الملك سورداي (ولعله كورش) لانه كان الملك العظيم في تلك الايام وكان مقيماً في ارض حاران وقالوا له «ان ارض كنعان التي ارسلتنا لنسكنها كادت تهلكنا لقلة المطر وجدب الارض وكثرة الحيوانات الضارية واذا سقط المطر وعاد الامل فسد ما نزرعه حالا فيسقط الزيتون ثمره ونوشك ان نهلك نحن ومن معنا ومواشينا». وطلبوا اليه ان يفحص من بني اسرائيل الذين قطنوا البلاد ماذا كانوا يصنعون درءاً لذلك ولكي تتحول حالة الارض المجدبة.

وعند وصول الخبر الى الملك أمر فأحضر امامه برجلين وهما عبدالله المقدم ورئيس الكهنة وعزا ابن شمعون وقد كانا بين شيوخ سبط يوسف الذين سكنوا السامرة واخبرهم بما بلغه فاجابه عبدالله اعلم ايها الملك ان لنا جبلا مقدساً اسمه جرزيم هو بيت الله. ولما خرج آباؤنا من مصر بعد اقامتهم ٤٠ سنة في البرية ودخلوا ارض كنعان امرهم الرب ان يذبحوا ويقدموا تقدماتهم على ذلك الجبل. وفي كل الازمنة التي كان فيها اجدادنا (ونحن من بعدهم) يقربون على الجبل ظلت الارض مثمرة. واعلم ان هذه المصيبة التي حلت بارض كنعان لن تزول حتى نعود الى ذلك الجبل الذي نستقبله بصلواتنا وحتى نحل به ونعبد الله عليه ونبتهل اليه بالغفران لانه يسمع ويستجيب. ونرجو من لطفه تعالى انه اذا تم لنا ذلك لا يحدث جوع ولا مرض ولا شيء من تلك الامور. وقد وعدنا الله بذلك.

وأطلعوا كورش على نص الشريعة المحتوية على الوعد والوعيد في هذا الشأن. وعطف الله قلب كورش فأذن لهم بالرجوع واوعز الى شيوخ اسرائيل وقوادهم ان يذهبوا امامه ليعطيهم اذناً بالعودة الى ارضهم فاجتمع رؤساء يهوذا ورؤساء سبط يوسف امام الملك وتذاكروا في امر رجوعهم وبناء بيت العبادة. فارتأى سبط يوسف والكهنة الذين من نسل فينحاس ان يكون بيت العبادة في جرزيم والحج اليه اما سبط يهوذا فقالوا بل في ايليا (اورشليم). غير ان بني يوسف برهنوا للملك من التوراة ان جرزيم هو المحل المختار وان العبادة يجب ان تكون عليه والحج اليه.

وكان المقدم في بني يهوذا رجل اسمه زربابل ابن شرشر (وهو شألتئيل في توراة اليهود). اما بنو يوسف فكان رئيسهم عبدالله رئيس الكهنة ومعه نثنائيل من سبط فينحاس. ولم تكن

التوراة الى ذلك الوقت حُرّفت فاقام عبدالله الادلة المفحمة منها ومن التقايد على ان جرزيم هو المكان المقدس فاجاب زربابل «انا قد تعلمنا من داود وسليمان ان الهيكل الذي في ايليا هو مكان العبادة الذي يجب استقباله في الصلاة». ولم يقو على ايراد حجة او دليل فلما رأى الملك سورداي اغتاظ من اليهود وقال لبني يوسف اذهبوا وابنوا هيكلا على جرزيم للعبادة «اذهبوا اليه وابنوه». فاغتاظ زربابل من هذا الكلام وكاد يجاهر بالرفض فاجاب قائلا «حقاً لا يكون الا في ايليا (اورشليم) كما اقترحنا».

فغضب الملك سورداي من جواب زربابل واغتاظ من قومه ايضاً فعنفه وطرده ودعا سنبلط فقدمه وكرمه وانعم عليه بالامارة على كورة كنعان اي سوريا كلها وأذن له بالعودة الى الارض المقدسة ليبني الهيكل على جبل جرزيم. واطلق الملك يده ليعمل ما يشاء فحجز بني يهوذا عن الرجوع مع سائر اسباط اسرائيل. وخيّر بني يوسف في البقاء او الالتحاق بسنبلط.

ومن ذلك الحين نشأ الخصام بين سنبلط وبين زربابل وجماعته وغضب الملك على شعب يهوذا فقتل ستة وثلاثين من اشرافهم واكرم اشراف بني يوسف فازدادت العداوة بينهم وبين بني يهوذا.

تغيير العوائد اليهودية. وشرع اليهود في تبديل شعائر دينهم ليغيظوا سبط يوسف فلم يبال بهم سنبلط. وكان عدد الراجعين مع سنبلط ثلاثماية الف ما عدا النساء والاولاد.

رجوع اسباط الشمال. ولما وصل شعب سنبلط ارض كنعان طهروا انفسهم في وادي البادان(١) ثم صعدوا الى جبل جرزيم وبنوا هيكلا وبنوا حوله سوراً وحصنوه من كل الجهات. وكان رؤساؤهم من عائلة عبدالله الكاهن العظيم واخيه نثنائيل. وبنوا هناك مذبحاً طوله ٣٥ ذراعاً وصنعوا منارة من ذهب خالص ومائدة من ذهب ووضعوا عليها خبز الوجوه وقربوا على المذبح مئة ثور فرضي الله عنهم وعن ارض كنعان فعادت اليها الامطار والخصب فسكن بنو اسرائيل آمنين في ايام سورداي الى ان ملك ابا سروال(٢).

---

(١) هو واد فيه نبع ماء غزير يدير المطاحن عن مسافة ٤ اميال الى الشمال الشرقي من نابلس ولعل اللفظة جمع بد وهو في لغة العامة الحجر الضخم للمطحنة او معصرة الزيت.

(٢) لا يظهر من هو هذا ولعل اللفظة تحريف اشور بنيبال الاشوري على ان الحكم بعد الفرس خلص لليونان ولا مكان لملوك اشور لكن يظهر مما يلي ان المراد به ارتحشستا الملك.

العداء بين اليهود والسمرة . اما هذ الملك فانه في بدء ملكه ضايق اليهود الذين كانوا في الجلوة في بلاده على انهم اثروا وادّوه الكثير من الجزية والخراج وفيهم زربابل ونحميا . فرشوا الملك بعد ان اخلصوا له الخدمة ونالوا منه اذناً بالعودة الى ارضهم وبناء مقدسهم فرجعوا بجمهور كبير الى يابيس (اورشليم) وشرعوا في بنائها .

ولما سمع بنو يوسف اغتاظوا فقاوموهم وطردوهم وحرّضوا الملك سورداي (مع انه كان قد مات) عليهم فامر بني يوسف بهدم جميع ما بنوه . وفوراً هجم بنو فينحاس وبنو يوسف على اورشليم وهدموا كل ما بناه اليهود وكان ذلك السبب العظيم في العداء بين بني يوسف واليهود .

ارتحشستا واستير . واستطاع اليهود في ايام قورش ودهارتاليس واحوركش وارتحشستا (كذا) ملوك فارس ان يتقربوا اليهم بالسحر فقدموا اليه استير الشهيرة وتمكنوا بواسطتها وبواسطة فتياتهم من نيل الحظوة في عيونهم وذلك بمشورة عزرا ونحميا واستصدروا منه اذناً ثانياً ليبنوا مدينة ايليا واعطي عزرا سلطة مطلقة ليفعل ما يشاء في ارض كنعان فجاء وبنى اورشليم واسوارها وحصنها .

اختراعات عزرا . ووجد عزرا وقومه بني يوسف على احسن حال قائمين بأوامر شريعتهم فحمل ذلك كثيرين من قومه على الالتحاق ببني يوسف . ولم يكن عند بني يهوذا توراة بل كانوا في حالة الجهل والاهمال لانهم كانوا قد فقدوا التوراة في ايام سورداي الملك .

فشرع عزرا في تأليف كتب جمعها من الاساطير ومن بعض الاخبار وابتدع اموراً لم تحدث وسطرها بالحرف الاشوري الذي لا يزال اليهود يستعملونه . ودس فيها ما دس عن اصل بني يوسف وانهم اميون كما جاء في الاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الاول .

اسم الجلالة والطريقتان للتلفظ به . ان الاسم يهوه لا يلفظه اليهود ولا السامريون بحروفه بل يستعمل اليهود عند قراءته لفظة ادوناي اي السيد اما السامريون فيستعملون لفظة شيما اي الاسم وافترى عزرا على السامريين انهم يعبدون الحمامة ويدعون صنمها اشينا(١) وهو تشنيع وتحريف للفظة شيما اي الاسم .

وبسبب العداوة التي اشعل لهيبها عزرا بتحريفه واختراعاته كانت حروب وخصومات

---

(١) ورد في ٢ مل ١٧ : ٣٠ فعمل اهل بابل سكوث نبوث . . . واهل حماة عملوا اشيما (الصنم) .

بين بني اسرائيل فضعفوا وتشتت شملهم وتفرقوا بين الشعوب . ومرت عليهم ادوار حتى جاء زمان الصليبيون فكان في قيصرية ٣٠ الفاً نفاهم صلاح الدين الايوبي ووُجد كثيرون من السامريين في الشام ومصر وحلب وغزه ويافا غير الذين سكنوا نابلس .

انتهت مقالة الكاهن يعقوب

تعليق

ان اهم ما يلفت النظر في مقالة السامريين دعواهم بان المسكن نصب على جبل جرزيم لا في شيلوه كما تقول توراة اليهود وهم يدعمون دعواهم هذه بما ورد في توراتهم في سفر الخروج الاصحاح العشرين بعد الوصية العاشرة (والسامريون يعدون العاشرة التاسعة عندهم) من الامر ببناء مذبح على جبل جرزيم حيث يجب تقديم القرابين وهذا الامر هو الوصية العاشرة عندهم (وسنأتي على ذلك في الكلام على توراة السامريين) . ويؤيدون دعواهم بما ورد في سفر التكوين ص ١٢ : ٦ — ٨ من ان ابرهيم اتى الى مكان شكيم الى بلوطة مورة وان الله ظهر له هناك فبنى مذبحاً للرب في شكيم ثم نقل من هناك الى الجبل شرقي بيت ايل ونصب خيمته وله بيت ايل من المغرب وعاي من المشرق وبنى هناك مذبحاً للرب

ويزعمون ان بيت ايل هي لوز على جبل جرزيم واما عاي فهي قرية روجيب الواقعة على الجبل الذي هو شرقي جرزيم كما يزعمون ايضاً ان الجلجال هو التلال الواقعة حول روجيب . وعليه فان شكيم وجبلها (وهو بيت ايل في زعمهم) تقدسا ببناء ابرهيم فيهما مذبحين . ويقولون ايضاً ان جرزيم هو جبل الموريا نسبة الى مورة وهو سهل عسكر قرب نابلس (وفيه كانت بلوطات مورة(١) التي نصب تحتها ابرهيم خيمته) وعلى جرزيم قدم ابرهيم اسحق ابنه وعليه ظهر له الله . ويقولون ان بيت ايل حيث بات يعقوب ورأى رؤيا السلم المنصوبة من السماء الى الارض هي على جبل جرزيم وانه اليه التجأ من وجه الكنعانيين بعد حادثة دينة(٢) . وفي نسختهم من التوراة عندما يأمر الله بني اسرائيل ان لا يذبحوا في كل مكان بل في المكان الذي يختاره الرب ليحل اسمه فيه يقرأون بل في المحل المختار عوضاً عن المحل الذي يختاره ، ويقولون ان المكان اختاره الله وعينه سابقاً وهو جرزيم (انظر تث ١٢ : ١١ و٢٦ : ٢) . على ان اهم ما يسندون اليه دعواهم بان جرزيم هو المكان المقدس الامر الوارد في تث ٢٧ : ٤ — ٨ بان بني اسرائيل

---

(١) يفسر السامريون اللفظة العبرانية بسهل مورة لا بلوطات (آلون مورة) ويفسرونه بمرج البهاء (٢) تك ٣٤ و٣٥

بعد عبورهم يقيمون حجارة كبيرة ويشيدونها بالشيد ويكتبون عليها كلمات الناموس ويبنون مذبحاً على جبل جرزيم (كذا في نسختهم) لا على جبل عيبال كما هو في التوراة اليهودية. ويحتجون بان يشوع لما خاطب بني اسرائيل خطابه الوداعي دعاهم الى شكيم (يش ٢٤) وبعد تمام خطابه ورد في يش ٢٤: ٢٥ و٢٦ «وقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله واخذ حجراً كبيراً ونصبه هناك تحت البلوطة عند مقدس الرب» ويقولون ان مقدس الرب هو جرزيم ويحتجون بان بني اسرائيل كانوا يذهبون الى شكيم لاجل تمليك الملوك كما جرى مع رحبعام

وانت ترى ان اهم ما يلجأوون اليه في اثبات قداسة جرزيم هو ما تنفرد به توراتهم من ذكر جرزيم مكان عيبال والوصية ببناء مذبح عليه ولما كان اليهود ينكرون ذلك وليس في نسختهم ما يدعيه السامريون لجرزيم فلا تقوم به على اليهود حجة

على اننا اذا تصفحنا التوراة العبرانية اعني العهد القديم لا نجد اشارة الى ان الخيمة نصبت في شكيم او على جرزيم. اما ما ورد في سفر يشوع من ان الحجر الذي نصبه يشوع كان عند مقدس الرب فليس بحجة قاطعة لان المقادس كانت عديدة عند الاسرائيليين كالجلجال وبيت ايل وحبرون. وعلاوة على النص الصريح في يش ١٨: ١ بان كل جماعة بني اسرائيل اجتمعت في شيلوه وهناك نصبوا خيمة الاجتماع نجد اشارات كثيرة الى شيلوه في التوراة اليهودية ولكننا لا نجد اشارة واحدة الى شكيم كمركز للعبادة وللخيمة. فبعض المزامير تلخص تاريخ الاسرائيليين ولكنها لا تشير الى شكيم. واساف في مزموره ٧٨: ٥٦ — ٦٤ يقول «أغاظوه بمرتفعاتهم واغاروه بتماثيلهم. سمع الله فغضب ورذل اسرائيل جداً ورفض مسكن شيلوه الخيمة التي نصبها بين الناس وسلم للسبي عزه وجلاله ليد العدو. ودفع الى السيف شعبه وغضب على ميراثه. مختاروه اكلتهم النار وعذاراه لم يحمدن. كهنته سقطوا بالسيف وارامله لم يبكين». ولا ريب ان الاشارة الى انغلاب الاسرائيليين امام الفلسطينين عند أسر تابوت العهد وسقوط حفني وفينحاس الكاهنين بحد السيف، كما ورد في ١ صم ٤. وفي ١ صم ٢١ نجد الخيمة في نوب في سبط بنيامين فيظهر ان بني اسرائيل نقلوها من شيلوه حرصاً عليها او لكي تكون قريبة من عاصمة شاؤول ثم نقلت الى جبعون ١ مل ٢: ٤. ثم ان اساف في مزموره ٧٨: ٩ يقول «بنو افرايم النازعون في القوس الرامون انقلبوا في يوم الحرب». ولا يُعلم هل الاشارة الى ما ورد في سفر اخبار الايام الاول ص ٧: ٢٠ و٢١ من ان بني افرايم ابن يوسف (وعددهم تسعة) قتلهم

رجال جت لانهم نزلوا ليسوقوا ماشيتهم ام الاشارة الى الواقعة مع الفلسطينيين حين اخذ التابوت والارجح انها الى هذه وان بني افرايم ذكروا بنوع خاص لانه لما كان التابوت والخيمة في سبطهم (لان شيلوه في سبط افرايم) كانوا هم طبعاً المكلفين بحمايتهما والذود عنهما وعار الانكسار وقع معظمه عليهم. وكذلك ورد في سفر ارميا ٧ : ١٢ — ١٦ «لكن اذهبوا الى موضعي الذي في شيلوه الذي اسكنت فيه اسمي اولا وانظروا ما صنعت به من اجل شر شعبي اسرائيل والان من اجل عملكم هذه الاعمال... اصنع بالبيت الذي دعي باسمي عليه الذي انتم متكلون عليه... كما صنعت بشيلوه». على انه لو صحت دعوى السامريين بان الخيمة كانت اولاً على جرزيم لما تردد كتبة العهد القديم عن الاشارة اليها بل كان ذلك لليهود حجة ابلغ في رفض دعوى السامريين بان الخيمة كانت اولا على جرزيم ولكن الله رفض جرزيم واختار صهيون. ثم ان شيلوه في سبط يوسف كما ان جرزيم فيه وسواء كان المرفوض شيلوه او جرزيم فالنتيجة واحدة في نظر اليهود وهي ان الله رذل سبط يوسف واختار سبط يهوذا فلا نرى سبباً خصوصياً لذكر شيلوه مكان جرزيم او للقول بان الله رفض شيلوه بدلا من انه رفض جرزيم الا بان كتبة العبرانيين لم يعلموا شيئاً من العلاقة المزعومة بين جرزيم والخيمة

على ان مقالة السامريين في اصل خيمة شيلوه لها علاقة برئاسة الكهنوت من ايام القضاة الى ملك داود. فانا نجد ان الكاهن في خيمة شيلوه في اواخر ايام القضاة كان عالي وهو لم يكن من نسل العازار بن هرون بل من نسل ايثامار اخيه (راجع بتدقيق ١ اي ٢٤ : ١ — ٧) وقد يكون العازار وايثامار توأمين لكن رؤساء الكهنة كانوا دائماً من نسل العازار وينتسبون اليه والى ابنه فينحاس وليس الى ايثامار (انظر ١ اي ٦ : ١ — ١٥ وعزرا ٧ : ١ — ٥) وهو كذا عند السامريين. وقد كان ابياثار الكاهن رفيق داود في هروبه من وجه شاول من نسل عالي (١ مل ٢ : ٢٧) ويظهر من ١ اي ٢٤ : ٣ ان اخيمالك الكاهن في خيمة نوب الذي قتله شاول هو ورفقاءه الكهنة كان من نسل عالي. ولا يعلم لماذا اسندت رئاسة الكهانة الى عالي وبنيه في ذلك الزمن وهم من نسل ايثامار لا من نسل اليعازار ولا نعلم اين كان بنو اليعازار ولماذا لم يطالبوا بالكهنوت او يقوموا بالرئاسة ولكننا نعلم ان رئاسة بني ايثامار (اي نسل عالي) لم تطل. فان داود جمع بين الفريقين في صادوق وابياثار اذ جعل كليهما كاهناً (٢ صم ٨ : ١٧) وفي ايام سليمان عزل ابياثار عن الكهنوت(١) (١ مل ٢ : ٢٧) فخلصت الرئاسة لصادوق (١ مل ٢ : ٣٥) وعادت الى بيت اليعازار.

---

(١) عزله سليمان لانحيازه الى ادونيا بن حجيث مع يوآب. اما التصاق ابياثار بيوآب فكان امراً طبيعياً لانه كان رفيقاً له في ايام هرب داود من وجه شاول.

ولا بد من اسباب نجهلها ساعدت على اسناد رئاسة الكهنوت الى نسل ايثامار في تلك الايام المضطربة ككون وارث الكهنوت من نسل اليعازار كان صغيراً او قاصراً او مريضاً . وأيسر رد يستطيع اليهود تقديمه هو ان السامريين قد استغلوا كهانة نسل ايثامار وبنوا عليهم ما ورد في المقالة من كيفية اتخاذ شيلوه مقدساً . ومما يدعو الى التردد في قبول حديثهم التجاؤهم الى المعجزة في تعليل اختفاء المسكن والتابوت وافضل من اختفائه بمعجزة بقاؤه بظهور معجزة تثبت انه التابوت الحقيقي

اما ما بقي من التاريخ في المقالة فمضطرب مشوش وليس فيه شيء يعتمد عليه ولا ما يلقي شعاعة نور على تلك الايام القديمة كما هو المنتظر فضلا عن الخلط بين ملوك اشور وبابل وفارس . ولا نعلم كم من الحقائق في خبر الرجوع من الجلوة البابلية كالاختلاف بين بني يهوذا وبني يوسف على المقدس الذي يبنونه وهل عبدالله الكاهن وزميله شخصان تاريخيان وما الدور الذي لعبه بنو يوسف في امر العودة وهل عاد قوم من المملكة الشمالية ام اقتصرت العودة على بني يهوذا . كل هذا يفتقر الى ايضاح واثبات من مصادر أخرى غير التي بين ايدينا ومما لا سبيل الى البحث والبت فيه . على ان ذلك لا ينفي ان يكون فيه حقائق تاريخية قد يؤيدها البحث

(٢) خلاصة تاريخ السامريين

لا بد قبل سرد ما يعرفه التاريخ عن السامريين ان نذكر شيئاً عن مدينة السامرة وهي الآن قرية سبسطيه الى الشمال الغربي من نابلس . ان هذه المدينة انشأهـا عمري ملك اسرائيل (المملكة الشمالية) نحو سنة ٩٢٥ ق.م. وجعلها عاصمة المملكة وظلت كذلك الى نحو سنة ٧٢١ ق.م. حين حاصرها الاشوريون وافتتحها سرجون . وقد ذكر حربه مع السامرة في اسطوانته المحفوظة في المتحف البريطاني وقد ورد فيها «انا حاصرت وقهرت . . . . بمساعدة شماش ؟ الذي اعطاني قوتي ٢٧٠٢٩٠٠ شخصاً اخذتهم الى الاسر ٥٠ مركبة لاجل استعمالي الحربي نقلت . جددت ورفعت عما في السابق . اناساً من جميع البلدان من اسراي اسكنت هنا . موظفي اقمته حاكماً . جزية وضريبة مثل الاشوريين وضعت عليهم» .

ويؤخذ من كتابات سرجون انه نحو سنة ٧٢١ ق . م. حدثت ثورة ايلوبيدي (من مدينة حماة) وان السامرة اشتركت مع الثائرين وحينئذ اتى بقوم من اورارتو واسكنهم بلاد حتي ولعل السامرة نالت نصيباً من العقاب .

وفي سنة ٧١٥ ابتدأ سرجون حروبه مع الماديين وفي سنة ٧١٤ يذكر الفاتح اسكان السامرة قبائل تمود وإبا بيدي ومرسيماني وهيياپا وازباي (عرباي ؟) ولعل القبيلة الاخيرة هي من العرب البعيدين الذي يصفهم سرجون بانهم سكان الصحراء المستقلون المجهولون . ولعل اسكان هذه القبائل في السامرة جرى بمقابلة اجلاء الاسرائيليين الى بلاد مادي كنتيجة لفتح سرجون لتلك البلاد.

وقد ورد في عزرا ٤ : ٢ ان اعداء اليهود طلبوا من زربابل ورؤوس الآباء ان يشاركوهم في بناء الهيكل قائلين « لاننا نظيركم نطلب الهكم وله قد ذبحنا من ايام اسر حدون ملك اشور الذي اصعدنا الى هنا » وفي عزرا ٤ : ٩ نجد ذكراً للاقوام الآتي ذكرهم بين سكان السامرة « الدينيين والافرستكيين والدهويين والعيلاميين » ولعل البابليين اتى بهم اشور ناباپال من بابل لاشتراكها في حرب اهلية اثارها شماش شم اوكين . فاسطوانة سرجون تؤيد ما ورد في سفر عزرا ان ملوك اشور اسكنوا اقواماً غرباء غير اسرائيليين في السامرة .

وقد اشرنا فيما سبق الى ان سكان السامرة بعد خرابها طلبوا من ملك اشور ان يبعث اليهم بكاهن يعلمهم شريعة اله الارض ليرد عنهم السباع فارسل اليهم(١) . لكن الكاهن سكن بيت ايل لا شكيم (١ مل ١٧ : ٢٨) . ويقال في سفر الملوك انهم مزجوا بين العبادة الصنمية وعبادة يهوه . ولا يعلم كثيراً عن حالة السامرة والمملكة الشمالية في ايام ملوك يهوذا الا انه يؤخذ من سفر الملوك الثاني وسفر الاخبار ان بعض ملوك يهوذا كحزقيا ويوشيا كانوا يحاولون ان يبسطوا نفوذهم كلما استطاعوا على مقاطعة السامرة واسكانها من الاسرائيليين .

وفي سفر عزرا ونحميا ذكر لمحاولة السامريين ان يشتركوا مع اليهود بعد الرجوع من سبي بابل في بناء هيكل اورشليم وانكار اليهود عليهم ذلك والخصومات التي جرت بينهم والشكايات من الفريقين الى ملوك فارس . ومن اراد الوقوف على ذلك بالتفصل فليراجع سفري عزرا ونحميا ولعل اليهودية بعد خراب اورشليم اصبحت تحت نفوذ حكام السامرة فتكون العداوة بعد الرجوع اصلها سياسي اكثر مما هو ديني

ويذكر نحميا في سفره ص ١٣ : ٢٨ ان احد بني يوياداع بن الياشيب الكاهن العظيم كان صهراً لسنبلط الحوروني فطرده نحميا من الكهنوت .

---

(١) يؤخذ تقليد او خرافة في الكنيسة السريانية ان ترجمة العهد القديم عندهم او قسم منه على الاقل من قلم الكاهن الذي ارسله ملك اشور للسامريين واسمه اسيا او عزرا او اوريا .

خلاصة قصة يوسيفوس عن سنبلط وصهره منسى الكاهن والهيكل على جرزيم

يقول يوسيفوس في تاريخه (قديمات فصل ٨) ان يدوع حفيد الياشيب الكاهن المذكور آنفاً ارتقى الى رئاسة الكهنوت وكان له أخ اسمه منسى فكان يشاركه في ممارسة الكهنوت غير ان منسى هذا اتخذ له امرأة نيكاسو ابنة سنبلط . اما سنبلط فكان حاكم السامرة وهو كوتي من جنس السامريين انفسهم وقد ولاه داريوس كادمانوس عليها . وكان سنبلط هو الذي رتب هذا الزواج نظراً لاهمية اورشليم السياسية ولكي يستميل اليهود اليه . لكن هذا الزواج اغضب اليهود فمقتوا منسى وخيروه بين التنازل عن حقوقه في الكهنوت وبين طلاق امرأته . فاستشار حماه سنبلط فوعده حموه بان يحصل له لقب رئيس الكهنة وان يجعله خليفته على ولاية السامرة وان يبني له هيكلاً على جبل جرزيم حالما ينال رخصة بذلك من داريوس . وفي هذه الاثناء انسلخ عدد من الكهنة واللاويين عن اورشليم لانهم كانوا مثل منسى متزوجين نساء غريبات وانحازوا الى منسى وسنبلط الذي اقطعهم اراضي في السامرة . وحدث ذلك في اواخر ملك الفرس عندما خرج الاسكندر المكدوني لقتالهم . ولما غلب داريوس انحاز سنبلط الى الاسكندر واسرع الى الفاتح الى صور عارضاً عليه جيوشه فرضي الاسكندر عنه ونال منه اذناً ببناء هيكل على جبل جرزيم . فشرع في بنائه واكمله بسرعة لكنه مات بعد تسعة اشهر .

اما الاسكندر فبعد ان دخل اورشليم بسلام جاء الى السامرة فاستقبله اهل شكيم وطلبوا اليه ان يعفيهم من دفع خراج السنة السابعة فاجاب انه منح هذا العفو لليهود فقط ولما سألهم قالوا انهم ليسوا يهوداً فقال انه سينظر في الامر عند رجوعه .

ولا يعلم بالتحقيق متى بني الهيكل على جرزيم فبعض المؤرخين يقولون انه بني سنة ٤٠٩ ق . م . باذن من داريوس نوثاس الفارسي وغيرهم يجعلون البناء بعد ذلك اي نحو ٣٠٠ سنة ق . م . ولعله بني اولا في سنة ٤٠٩ ثم رمم بعد ذلك .

وابتدأت شكيم تأخذ مقاماً مهماً ببناء الهيكل على جبلها . وزادت اهميتها بعد خراب السامرة فان الاسكندر المكدوني اخذ سبسطية وقتل معظم اهاليها وسمح للباقين ان يسكنوا شكيم لانها تمردت عليه . وجعلها مستعمرة للسوريين والمكدونيين . اما جوارها من الضياع فاعطاها لليهود وظل هؤلا السوريون والمكدونيون ساكنين فيها الى ايام هركانوس المكابي . وذكر يوسيفوس ان

كثيرين من السامريين تجندوا للاسكندر المكدوني وذهبوا معه الى مصر . وبعد ذلك أخذها بطليموس الاول ملك مصر ودك حصونها ويقول يوسيفوس انه اسر كثيرين من رجال اليهودية ومن السامريين حول جرزيم وهذا يفسر وجود اليهود والسامريين في مصر . لكن السامرة بعد فتح بطليموس اياها بنيت ثانية ويقول يوسيبيوس القيصري ان پردكاس هو الذي بناها لكن ديمتريوس بوليكراتس هدمها سنة ٢٩٦ — سنة ٢٩٥ ق.م . ثم بنيت مرة اخرى لانها في ايام هركانوس المكابي كانت مدينة عظيمة منيعة .

ولم يشترك السامريون مع اليهود في حروبهم المكابية ويظهر ان جيوش المكابيين تجنبت مدينة السامرة لكونها حصناً وثنياً معادياً لهم . اما القسم الجنوبي من بلاد السامرة فان اليهود توسعوا فيه واستوطنوه . وعند معاهدة الصلح مع ديمتريوس الثاني ملك سوريا ألحقت ثلاث مقاطعات سامرية باليهودية وهي افرايم (الطيبة) ولده ورمتايم وذلك نحو سنة ١٤٥ ق.م. وهذه الاضافات دفعت حدود اليهودية الى احشاء بلاد السامرة الى حدود بروقين (Borkeos) وبذلك اصبح اليهود قادرين على فتح السامرة والانتقام منها .

وقد ورد في سفر المكابيين الثاني ٥ :٢٣ ان انطيخوس ايفانيس جعل اندرونكس عاملاً على جبل جرزيم وفي ٢ مكا ٦ : ١و٢ انه ارسل شيخاً اثينياً ليضطر اليهود ان يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله وليدنس هيكل اورشليم ويجعله على اسم زفس الاولمبي ويجعل هيكل جرزيم على اسم زفس (Xenios) مؤوي الغرباء . اما يوسيفوس فيقول ان اهل شكيم (او الصيدونيين) ارسلوا الى انطيوخوس طالبين ان يسمى هيكلهم زفس اليوناني (Zeus Hellenios) وان الملك منحهم هذه النعمة .

واشتدت العداوة بين اليهود والسمرة وفي سنة ١٢٨ اخذ يوحنا هركانوس المكابي شكيم وهدم هيكل السمرة على جبل جرزيم بعد ان بقي ٢٠٠ سنة مبنياً . (وفي الروزنامة اليهودية في قائمة الاصوام اليوم الحادي والعشرون من شهر كسلو معين لذكرى واقعة جرزيم هذه) وهكذا خضعت شكيم لحكم هركانوس . وسنة ١٢٠ حاصر هركانوس مدينة السامرة واخذها بعد حصار سنة كاملة ويقول يوسيفوس انه بذل جهده في تدميرهـــا فحفر في جبلها خنادق متقاطعة وحول اليها مجاري المياه الطبيعية لكي تهدم اساسها وانه لم يبق لها اثر تعرف به . على ان كلام يوسيفوس لا بد ان يكون من باب المبالغة ولعله اراد ان هركانوس هدم اطراف المدينة المتصلة بالوادي فقط لان آثار المدينة القديمة باقية للان . اما السبب الذي حمل هركانوس على مهاجمة السامرة فهو تعدي

اهلها على سكان مريشه وهي كولونية يهودية . ويقول ابو الفتح المؤرخ السامري ان هركانوس اقتنع بصحة الديانة السامرية وانه ارسل الى جرزيم عشوراً وذبائح . ولعل في هذا اشارة الى خذلان الفريسيين لهركانوس وموالاته للصدوقيين الذين يظن انهم كانوا على وداد مع السامريين . ويظهر انه بعد خرابها سكنها اليهود لانها كانت في حوزتهم في ايام اسكندر يانيوس وظلت في يدهم الى مجيء بومبيوس القائد الروماني الذي ردها الى سكانها الاصليين والارجح ان المراد بهم السمرة وهم الذين نكل بهم الاسكندر المكدوني وانتزعها منهم واعطاها للمكدونيين والسوريين .

وجعلها بومبيوس مدينة حرة وسلخها عن اورشليم والحقها بولاية سوريا وبنيت ثانية بامر غابينوس احد ولاة سوريا الذي بنى غيرها من مدن الشرق الخربة (نحو ٥٥ ق . م .) وقد ادرك الرومانيون اهمية السامرة كسلاح ضد اليهود فاختارها هيرودس وبناها بناء متقناً وزينها . وسبب رضى هيرودس عن السامرة انها انحازت اليه في حربه مع انتيغونوس . وبعد انتصار اوغسطوس قيصر في معركة اكتيوم على خصميه انطوني وكليوباترا انعم عليه اوغسطوس فوق لقب الملك بمقاطعة السامرة ولذلك اسرع هيرودس الى بنائها وتزيينها وسماها اوغسطا(١) باسم اوغسطوس قيصر وبنى فيها هيكلاً له ولكنه فعل ذلك كله على قول يوسيفوس ليس عن رغبة او لذة بل سياسة لارهاب اورشليم . وقد وصفها يوسيفوس وصفاً مدققاً فكانت محاطة بصور طوله ٢/١ ٢ ميل وكان في وسطها فسحة كبيرة بني فيها الهيكل لاوغسطوس وجعلها هيرودس مستعمرة اسكن فيها ٦ آلاف من الابطال المجربين وغيرهم واقطعهم الضياع والاراضي المحيطة بها . وفيها تزوج بامرأته مريمنا وبعد قتلها جعل يسلي نفسه بالصيد في جوار المدينة وفي آخر حياته قتل هنا ابنيه الاسكندر وارستوبولوس . وبقيت السامرة بعد موته امينة للرومانين وبعد قسمة المملكة بين ابناء هيرودس اعطيت مقاطعة السامرة مع اليهودية لارخيلاوس رئيس الربع واعفيت من ربع الجزية . ولما حزم ارخيلاوس من الملك سنة ٦ ب . م . جعلت اليهودية والسامرة ولاية واحدة من الدرجة الثالثة خاضعة لوالي سوريا (Pro-consul) . اما عاصمة الولاية نفسها اليهودية والسامرة (Procuratorship) فكانت قيصرية(٢) (وهي من بناء هيرودوس) . وهكذا انتقلت العاصمة

---

(١) اما لفظة سباستيه فهي يونانية مترجم اوغسطا

(٢) ان بيلاطس البنطي كان بركيوراتور (Procurator) وكان والياً على اليهودية والسامرة معاً .

الى الشمال وهذا كان من حظ السامريين . وبالرغم عن توحيد اليهودية والسامرة ظلت الحدود بين المقاطعتين محفوظة لكن الارجح ان اليهود استرجعوا المقاطعات السامرية التي اقتطعها منهم بومبيوس القائد .

ولما كانت السامرة على طريق يهود الجليل في صعودهم الى اورشليم للاعياد العظيمة كانوا يضطرون الى اجتيازها ولكن لشدة العداوة بينهم وبين السامريين كانوا لا يجسرون على المرور الا جماعات كبيرة وكثيراً ما كان السامريون يهاجمونهم ويوقعون بهم اذا سنحت لهم الفرصة. فكانوا احياناً يأتون عن طريق بيرية (شرق الاردن) ومن ثم الى اريحا فأورشليم كما فعل السيد المسيح في صعوده الاخير الى اورشليم قبل موته. وقد زار مدينة شكيم راجعاً من اورشليم وجلس على بئر يعقوب وهدى المرأة السامرية كما هو مذكور في انجيل مار يوحنا الاصحاح الرابع واقام فيها (او في سوخار) يومين وآمن به كثيرون من السامريين . وبعد صعوده الى السماء جاء فيلبس الشماس الى مدينة من السامرة (اما شكيم او سبسطيه) وآمن كثيرون بكرازته وزارها بعده الرسولان بطرس ويوحنا لوضع الايدي على المؤمنين (وهو ما يعرف عند المسحيين بخدمة التثبيت) لحل الروح القدس على التلاميذ وآمن ايضاً سيمون الساحر لكنه رُفض لما حاول ان يقتني موهبة الروح القدس بالدراهم (انظر سفر اعمال الرسل الاصحاح الثامن) . وقد دخلت الديانة المسيحية مقاطعة السامرة وكان فيها اساقفة ومن الاباء المسيحيين المشهورين يوستينوس الشهيد الذي نبغ في اواسط القرن الثاني .

وفي ايام بيلاطس البنطي في ايام السيد المسيح (نحو ٣٥ — ٣٦ م.) قام رجل سامري ودعا السامريين الى الصعود على جبل جرزيم مدعياً ان يكشف لهم عن آنية خيمة الاجتماع القديمة المخبوءة في الجبل . فاجتمع جمع مسلح في مكان يقال له تيراثانا(١) ولكن بيلاطس منع صعودهم الى الجبل بان ارسل عليهم جنداً ذبحوا قوماً واسروا آخرين وشتتوا شمل الباقين . فاشتكى السمرة على بيلاطس الى فيتلس والي سورية ونتج عن ذلك عزل بيلاطس سنة ٣٦ م .

وقبل خراب اورشليم جعلت المنازعات تشتد بين اليهود والسمرة ويظهر ان الحكام كانوا يشجعون هذه المنازعات ليستفيدوا من انقسام الفريقين . في حكم كوبونيوس الوالي (٦—٩ م) دخل السمرة الى بعض اروقة هيكل اورشليم وطرحوا عظام اموات ومن ذلك العهد منع اليهود

---

(١) لعلها الطيره ٤ اميال الى الغرب الجنوبي من نابلس

السامريين من حضور اعيادهم مع انه لم يكونوا يمنعون منها سابقاً (كذا يوسيفوس). على انه حدث اضطراب عظيم في ايام الوالي كومانوس (٥٢ م.) وذلك ان السمرة هاجموا حجاج اليهود الجليليين في موسم الاعياد في جنين الواقعة على الحدود بين السامرة والجليل. فتسلح الجليليون وانضم اليهم بعض عصابات من اللصوص فهاجموا قرى كثيرة من قرى السامريين فاضطر كومانوس ان يسوق عليهم جيشاً كبيراً واخضع المعتدين. فاشتكى السامريون كانهم المظلومون الى كوادراتوس حاكم سورية فحضر بنفسه وسمع شكاوي الفريقين في سبسطية وفي لدة (اللد) وحكم للسامريين على اليهود ولكنه اخيراً امر رؤساء الفريقين ان يذهبوا الى رومية ويرفعوا الامر الى كلوديوس قيصر. وكان كومانوس الوالي في قيصرية نصيراً للسامريين وقد اتهمه يوسيفوس انه ارتشى منهم. غير ان اليهود كان لهم نصيراً اغريباس الاصغر الذي استعان بالملكة اغريبينيا وهكذا حمل القيصر على الحكم لليهود وعلى السامريين بالقتل وحكم على احد فرسان الرومان المدعو سيلر ايضاً بالقتل (وهو ذو علاقة بالخصومة) وعلى كومانوس الوالي بالنفي

غير ان السامريين تمتعوا في ايام هيرودس وبعد ذلك حتى خراب اورشليم براحة ورفاهية. وقد كان لهم مجلس ديني ذو سلطة معترف بها من الحكومة كما كان للمجلس السنهدريمي

خراب اورشليم وشكيم

ولما ثار اليهود على الرومانيين قبل خراب اورشليم اضطربت البلاد بالحروب بين الرومان والعصابات اليهودية. وفي سنة ٦٦ خربت مدينة سبسطية واحرقت. وسرى روح العصيان الى السامريين. وقد ذكر يوسيفوس ان جمهوراً غفيراً منهم اجتمع على جبل جرزيم واستعد لمقاومة الرومان بالرغم عن انكسارهم امامهم. فارسل عليهم فاسباسيانوس (ابو تيطس) الذي كان يحارب اورشليم القائد سيرياليس بست مئة فارس وثلاثة آلاف راجل. ولما كان السمرة قد حصنوا مواقعهم على الجبل لم يقدر الرومانيون على مهاجمتهم فحصروهم ولم يكن ماء على الجبل فهلك البعض عطشاً وسلم البعض. فتمكن سيرياليس من الهجوم على الباقين فاحاط بهم وعرض عليهم العفو والامان فرفضوا وقاتلوا ففتك بهم الجند الروماني وذبح منهم ١١،٦٠٠ وهدم الرومانيون شكيم وامر فاسباسيانوس بنقل حجارتها وبنائها مجدداً في مركزها الحالي. اما المدينة القديمة فكانت واقعة شرقي المدينة الحالية. وهجر السامريون المدينة القديمة وسكنوا في شكيم الجديدة وسماها فاسباسيانوس فلافيا نيابوليس ومعنى نيابوليس المدينة الجديدة (ومنها لفظة نابلوس). اما فلافيا فاسم عائلته. وهكذا يرد اسمها على النقود الرومانية

ولما ثار باركوكب اليهودي في ايام ادريانوس القيصر ١٣٠ ب. م. اشترك السمرة مع اليهود في المصائب التي حلت بهم بسبب تلك الثورة . ويقول مؤرخو السمرة ان ادريانوس جاء الى نابلوس واحضر معه ابواب اورشليم النحاسية العظيمة وجعلها على هيكل بناه للاله زفس على جبل جرزيم . لكن السمرة بعد ذهابه قاموا وطهروا بالنار الاماكن التي دنسها فاشتكى اليهود عليهم فصدر الامر من القيصر بقتل كل رجل مختون (ومن رأي سبارتيانوس المؤرخ ان ثورة باركوكب كانت بسبب منع اليهود من الختانة) . ويقول السامريون ان ادريانوس حرم عليهم الوضوءات وحفظ السبت والاعياد وانه اتلف جميع نسخ التوراة السامرية القديمة ولم يسلم سوى النسخة الاصلية التي بيدهم وانساب الكهنة . على انه من المحقق انه بنى هيكلا لجوبيتر الاعظم فكان بناؤه نقمة على السامريين الذين اظهروا السخط العظيم فحلت بهم عقوبات القيصر

ثم ان سبتيمو سسفيرو (نحو س ٢٠٠ ب.م) سلب شكيم حقوقها المدنية(١) لانها انحازت الى خصمه نيجر بسينيوس وجعل المدينة مستعمرة رومانية (كولونية) ولعل ذلك جرى بسبب نفي كثيرين من سكانها . ويذكر ايرونيموس في تاريخه حرباً بين اليهود والسمرة جرت في السنة الخامسة من ملك سفيروس . غير ان سفيروس عاد فألغى العقوبات التي انزلها بها . ويقول ابو الفتح المؤرخ السامري ان سفيروس عرض على الامام عقبون السامري كرامة مدنية اذا هو سجد للاصنام ولتمثال القيصر لكن الكاهن رفض فطلب اعوان القيصر اهلاك الأمة بأسرها فلم يرضَ لان السمرة كانوا يعبدون الاله الاعظم .

وقد وجدت نقود لمدينة نابلس شكل منها عليه صورة هيكل جوبيتر على جرزيم وصورة درج ممتد من المدينة الى الهيكل ولجرزيم قمتان على الواحدة الهيكل وعلى الثانية مقام او مذبح والشكل الثاني عليه صورة الاهة تشبه ارطاميس الافسسيين واقعة بين ثورين كلٌ له سنام وفي يدها الواحدة سوط وفي الاخرى سنابل قمح . اما الشكل الاول فهو لنابلوس الامبراطورية من ايام تيطس الى ايام مكمسينوس (٧٠ — ٢٣٥) اما نقودها كمستعمرة فمن ايام فيلبس الاول الى فولوسيان .

وفي القرن الرابع استولى المسيحيون على بئر يعقوب ولعل ذلك جرى عند مجيء القديسة هيلانة الى فلسطين وبنائها كنيسة القبر المقدس ويقال انها بنت كنيسة على البئر (لكن ذلك غير

---

(١) لا يعلم هل كانت المدينة متمتعة بالحقوق الرومانية ام ان الحقوق التي سلبتها كانت مدنية عادية الا ان حصولها على حقوق خاصة بها يدل على امتيازها ولعل ذلك بسبب بناء فاسباسيانوس اياها

محقق) غير ان القديس ايرونيموس يقول انه في اوائل القرن الخامس (٤٠٤) زار البئر والكنيسة المبنية عليها مع القديسة باولا . وفي القرن الرابع استولى المسيحيون ايضاً على المقام المعروف بقبر يوسف وهو بحسب تقليد اليهود مدفن الآباء الاثني عشر وهذا التقليد كان شائعاً في القرن الاول (اع ٧ : ١٥) وقد ذكر ايرونيموس في رحلته ان القديسة باولا بعدما زارت بئر يعقوب التفتت فرأت قبور الآباء الاثني عشر فالظاهر ان الاعتقاد الشائع الى ذلك العصر ان الاباء الاثني عشر دفنوا مع يوسف(١) وذكر ابو الفتح المؤرخ السامري ان المسيحيين أتوا قاصدين ان يحملوا عظام يوسف الى مدنهم غير ان الله ابطل مقصدهم بواسطة معجزات منها ظهور نور عظيم وغيوم وانهم اخيراً اكتفوا ببناء كنيسة على القبر غير ان السامريين هدموها وكفروا عن ذنبهم هذا بدفع غرامة ثقيلة لكنهم صانوا القبر ومنعوا الوصول اليه

ويستنتج من كتابات السامريين انهم تمتعوا براحة وامان في ايام قسطنديوس وقد نبغ منهم رجلان في القرن الرابع وهما البابا ربا وماركا . اما البابا ربا فكان ابن الكاهن الاعظم وقد قام بنهضة دينية واصلاح عظيم واسس مدرسة السبعة الحكماء وكان يصادق العلمانيين بين الشعب دون الكهنة ونظم شؤون الكهنة الذين ضاع نسبهم واستخلص وحفظ ما بقي من الكتب المقدسة واحيا العبادة وبنى ثمانية كنائس . على ان الروايات تمثله ايضاً كبطل محارب يقاوم جباة الدولة الرومانية ويحارب العرب المهاجمين الذين انضموا الى الفرس . لكنه اخيراً اضطر الى الذهاب الى القسطنطينية حيث ظل في اسر شريف الى اخر حياته

اما ماركا فكان لاهوتياً كبيراً وقد عاش بعد بابا ربا بجيلين

وفي هذا القرن (على قول السامريين) انزلوا ابواب اورشليم التي جاء بها ادريانوس وجعلها على جبل جرزيم وبنوا كنيساً كبيراً(٢) وضعوا عليه الابواب لكن الملك سقافاطس (كذا) دعا اليه كاهن السمرة وغرمه بمال كثير . وتفسير ذلك انه عند تنصر الدولة الرومانية تجاسر السامريون على المقادس الوثنية

وفي ايام الامبراطور زينون(٣) ثار إلوس سنة ٤٨٤ وعقب الثورة حروب اخربت

---

(١) اما اعتقاد السامريين فهو ان القبر هو قبر يوسف

(٢) في السهل شرقي جرزيم وشرقي الطريق الذاهبة من نابلوس الى القدس على طريق روجيب مكان يقول السامريون انه كان فيه كنيسة يقال لها كنيسة الجوهرة ويقولون ان بعض اعمدة الجوامع في نابلس أتي بها من تلك الكنيسة

(٣) اشتدت في القرن الخامس الاضطهادات التي اثارها الاكليروس المسيحي على اليهود وشملت السامريين وسنت ضدهم شرائع صارمة تحرمهم المناصب في الحكومة والقاب الشرف وبناء كنائس جديدة وترميم القديمة

فلسطين . وبعده ثار اليهود في انطاكية فاخمدت الثورة بقتل جميع اليهود فيها تقريباً . وبعد انغلاب إلوس قام السمرة على المسيحيين في نابلوس وذبحوهم وذلك في احد العنصرة سنة ٤٨٤ والمسيحيون يصلون فانهم هجموا عليهم وقطعوا اصابع المطران تربنتس الذي كان يقدس على المذبح . واقام العصاة عليهم قائداً سامرياً اسمه يوستا وساروا الى قيصرية (قيسارية) وقسم كبير من اهلها حينئذ سمرة واهلكوا كثيرين من المسيحيين واحرقوا كنيسة مار بروكوبيوس واحتفلوا احتفالا عظيماً بانتصارهم ولكن والي فلسطين اسكلابيذيس والقائد ريجيس غلبا يوستا وقهراه . وذهب الاسقف تربنتس الى الامبراطور زينون واقنعه بضرورة قصاص السمرة فطردهم زينون من جبل جرزيم وبنى على قمة الجبل كنيسة مريم العذراء (ويظهر انها بنيت في مكان الهيكل) وهي اول كنيسة مسيحية بنيت على ذلك الجبل . وبنى الامبراطور سياجاً متيناً حول الكنيسة وجعل في نابلوس حامية قوية فخضع السامريون ويجعل مؤرخو السمرة سبب هذه القلاقل ان المسيحيين حاولوا ان ينقلوا عظام اليعازر وايثامار وفنحاس الكهنة(١) ويقولون ان حاكم قيصرية انحاز الى المسيحيين ولكنه حقناً للدماء اقترح ان يتبارز رجل من السمرة ورجل من المسيحيين فبرز من المسيحيين جبار معه كلب وحشي شرس غير ان يوستا بطل السمرة قتل الوحش وانغلب المسيحيون ومن ذلك الوقت لم يجسر احد ان يدخل قبور اولئك الاباء

ويقول مؤرخوهم ايضاً ان القيصر زينون لما جاء الى فلسطين جعل السمرة تحت سيطرة المحاكم المسيحية وحظر عليهم الحرق والتطهير بالنار وحاول ان ينصرهم وارغمهم على عبادة الصليب وقتل سبعين من زعمائهم في مقام الاعمدة(٢) وضبط محلاتهم المقدسة وحوّل جامع عقبون(٣) الى دير واستولى على جرزيم عنوة بعد ان رفضوا ان يبيعوه اياه وحول الهيكل الى كنيسة بقبة بيضاء عظيمة وجعل فيها نوراً يضيء الليل كله كان يرى من القسطنطينية ورومية ! ! وبنى قبراً امام الهيكل حتى اذا استقبلوا الجبل استقبلوا القبر . اما الجثة التي تضمنها هذا اللحد فقيل انها جثة ابنه وقيل جثته(٤)

وهذه الاضطهادات زادت حنق السمرة ودفعتهم الى اليأس والقنوط فاستبسلوا في الدفاع

---

(١) قبور هولاء الكهنة ابناء هرون هي في قرية عورتا (جبعة فينحاس) مقابل حوارة على طريق القدس الى نابلوس وبقرب نابلوس .

(٢) لعل المقصود القبور المعروفة برجال العمود عند حضيض جرزيم في السفح الشمالي قرب القشلاق

(٣) ربما كان الجامع في حارة العقبة وقد تكون سميت بالعقبة نسبة الى الامام عقبون (انظر صفحة ٢١)

(٤) لا تزال آثار هذا القبر على جبل حرزيم

عن مقدساتهم . وفي ايام الامبراطور انسطاسيوس المضطربة سنة ٤٩١ — ٥١٨ حدث في نابلوس هياج كالهياج الذي حدث في ايام بيلاطس البنطي فان جماعة من السمرة صعدوا على جرزيم تقودهم امرأة وهاجمو الحامية على غرة فذبحوها واستولوا على كنيسة مريم العذراء ولكن بروكوبيوس والي فلسطين اخمد الفتنة حالاً وقتل الزعماء

وفي ايام الامبراطور يوستنيانوس (٥٢٧ — ٥٦٥) ثار السمرة بسبب المناشير التي اصدرها ضد السمرة والمانيشيين وملكوا عليهم يوليانوس ابن صابار . وذكر كيرللس ان الاسقف صمون او امون قتل في نابلوس مع عدد من الاكليروس وقطع الثائرون الطرق العمومية على المسيحيين . فارسل يوستنيانوس الدوك ثيودور واخمد الفتنة وسحق السمرة وقتل منهم على تقدير بروكوبيوس نحو مئة الف وعلى تقدير ملالاس عشرين الفاً وكان مع الحملة التأديبية رئيس قبيلة عربية . وقبض على يوليانوس وقطع رأسه وارسل الى الامبراطور . وعاقب يوستنيانوس الحاكم ماسوس بالقتل لانه لم يتدارك امر الثورة قبل ان تستفحل . اما الامير العربي فأخذ غنيمة عشرين الف اسير بيعوا الى انحاء مختلفة من العالم . وذكر بروكوبيوس ان يوستنيانوس بنى خارج السياج الذي بناه زينون سوراً منيعاً . وآثار هذا السور لا تزال باقية . واعاد بناء خمس كنائس كانت قد هدمت على جبل جرزيم (١)

وقد ذكر ثيوفانس وملالاس تتمة لهذه الحادثة وهي ان السمره ارسلوا وفداً الى ملك الفرس يعرضون عليه ان يسلموه فلسطين وان يجهزوه بخمسين الف مقاتل من سمرة ويهود . (اما ملالاس فيقول ان خمسين الفاً منهم هربوا الى بلاد فارس وهذا يتفق مع مقال السامريين) . وعند ذلك رفض الملك كسرى شروط الصلح التي كان عرضها عليه وفد الرومان المرسل من يوستنيانوس طمعاً بالحصول على غنيمة كبيرة في كنوز مدينة القدس وذلك بتحريض الوفد السامري . غير ان المؤامرة اكتشفت اذ القي القبض على الوفد السامري المؤلف من خمسة اشخاص وهو راجع من الشرق . وهذا الحادث له نظير في المساعدة التي قدمها اليهود في ايام

---

(١) وذكر كيرللوس (وموطنه بيسان) ان القديس سابا الشيخ ساكن بيسان ذهب الى القسطنطينية ليحصل على ترضية وحماية للمسيحيين ولكنه لقي مقاومة في البلاط لان فظائع السامريين في بيسان قابلها المسيحيون بالمثل وقد قتلوا فيمن قتلوا رجلا شريفاً اسمه سلوانس كان بين الذين حاموا عن السمرة . وكان ابنه الكونت ارسينيوس قدم عريضة معاكسة لطلب القديس سابا ونال عطف الامبراطورة ثيودورا . غير ان سابا فاز اخيراً فأعفي المسيحيون من الرسوم بسبب النهب والخسارة . وامر الامبراطور باعادة بناء الكنائس وصدرت اوامر بحرمان السامريين من الحقوق المدنية وشرع الحاكم الجديد في اضطهاد السمرة اضطهاداً عنيفاً

كسرى الثاني عندما اكتسح فلسطين في القرن السادس . ولعل هذه القصة أثرية تمثل الحوادث الكثيرة من هذا النوع مما كان يفعله سكان سوريا وفلسطين الناقمون على المسيحيين

وسنّ يوستنيانوس على السمرة شرائع صارمة امر فيها بهدم كنائسهم ومنع اعادة بنائها وحرمهم حق وقف الاملاك ونقلها وسمح للحكام والاساقفة بمصادرتها ورسم ان اولاد الزواج المختلط يجب ان يتنصروا(١) . وقد اتت هذه الشدة بالنتائج المقصودة فان بروكوبيوس يشهد ان القسم الاكبر من السمرة تنصر وخضدت اشواك العصيان لكن سرجيوس اسقف قيصرية حيث وُجد السامريون بكثرة شفع بهم لدى الامبراطور فنقض هذا بعض الشرائع الصارمة

غير ان السمرة بالرغم من تسامح يوستنيانوس عادوا فثاروا مرة اخرى سنة ٥٣٦ م . فقام سامريو قيصرية وهاجموا المسيحيين فيها وقتلوا منهم كثيرين واحرقوا الكنائس وذبحوا الحاكم (eparch) في مقره ونهبوا املاكه فهربت امرأته واشتكت الى الامبراطور فارسل امانتيوس (او ادامانتيوس) فانتقم منهم انتقاماً عاجلاً هائلاً

ولكن عداء السمرة لم يكفّ واستمرارهم في طريقتهم استنزل عليهم غضب القياصرة . وبين الشكايات المقدمة الى الامبراطور شكاية من رجل اسمه سيمون او سمعان قدمها الى يوستنيانوس الثاني فحواها ان مستعمرة سامرية في اسفل جبل الكرمل اعتدت على الكنائس سيما على الصور المقدسة(٢) . وما ظهر من السمرة من روح العصيان والتمرد حمل يوستنيانوس الثاني على الغاء منشورات سلفه الصالحة في حق السامريين . واصدر امراً سنة ٥٧٢ بحرمانهم من جميع الامتيازات وجميع الوظائف الشريفة وكل وسائل التهذيب . واذا توفي احدهم عن غير وارث ارثوذكسي تستولي الحكومة على املاكه واذا تظاهر احدهم بالنصرانية وحفظ السبت او اي فرض سامري آخر تصادر املاكه وينفى . وامر ان لا يُقبل احدهم في المعمودية الا بعد ان يتعلم مدة سنتين اصول الدين المسيحي والكتاب المقدس ولا يجوز لسامريّ ان يقتني عبداً مسيحياً واذا ملك واحداً اصبح العبد حراً واذا تنصر عبد سامري يتحرر

ومما حفظ من اخبار ذلك العصر قبل الفتح الاسلامي بعشرين سنة ان كسرى ملك الفرس

(١) وهناك اوامر مشددة بخصوص السمرة المتنصرين بانه تجب مراقبتهم والاقتناع بان تنصرهم حقيقي . وقد منعتهم مناشير يوستنيانوس من الخدمة العسكرية والخدمة الملكية

(٢) يظهر لنا ان السامريين في هذا العصر اعادوا فعال المكابيين مع ملوك سوريا فكانت ثوراتهم عن دافع ديني ضد ما اعتقدوا انه عبادة صنمية في النصرانية واستبسلوا في الدفاع عن دياناتهم ومقاومة الضغط عليهم لحملهم على التنصر

صلب كثيرين من السامريين . والاشارة الى كسرى الثاني الذي فتح فلسطين سنة ٦١٤ ولعل السامريين قاوموه بعكس اليهود الذي رحبوا به فعوقبوا على مقاومتهم

السامريون تحت حكم المسلمين

(ان تاريخ السامريين من القرن السابع بعد المسيح الى الوقت الحاضر مرتبط بتاريخ شكيم او نابلوس فيجد القارىء في هذا الفصل خلاصة ما يعرف عن نابلوس من القرن السابع فصاعداً وسنفرد فصلاً خاصاً لتاريخ شكيم في الكتاب المقدس)

بعد واقعة اليرموك دخلت نابلوس او شكيم في حوزة المسلمين وهرب الكثيرون من السامريين الى الشرق ولم يرجعوا (رحلة ابن بطوطة الى الهند) . وفي خلافة المنصور العباسي ٧٤٥ — ٧٧٥ م) هدم عبد الوهاب ابو شندي قبر القيصر زينون على جبل جرزيم وهجم قوم على دير مسيحي على الجبل بجوار القبر وذبحوا الرهبان فاقتص حاكم نابلوس من السمرة بان قتل رئيسهم . وضاق الامر بالسمرة في ايام العباسيين وقسم كبير منهم نفي او هاجر او اسلم . وبعد موت الرشيد وقع الخلاف بين ولديه الامين والمأمون فقام بعض العصاة وأخربوا مدن زيتا وسالم وعرطوف وهي من مدن السمرة في ذلك الحين . وبعد موت الأمين قام المسلمون على حاكم نابلوس وقتلوه لانه قرب اليه السمرة . وحدثت فتنة عظيمة وامتلأت الارض قتلاً لكن أخيراً سُمح للسمرة ان يمارسوا عبادتهم وشعائرهم الدينية على الجبل . وفي خلافة المأمون سكنت الحال على يد عبد الله بن طاهر عامله على سوريا والجزيرة . غير انه لما ذهب عبد الله الى مصر قام رجل اسمه ابن فَرَسا وجعل يرغم السمرة على الاسلام فاسلم كثيرون لكن الخليفة اوقف الشغب . وهدم المأمون جميع القلاع لئلا يلجأ اليها العصاة وفي جملتها القلعة التي بناها زينون القيصر على جبل جرزيم . وفي خلافة المعتصم دخل بعض الخوارج نابلوس واخربوها واحرقوا كنائس السمرة والدوسيتيين ثم أُخمدت الفتنة غير انه اصاب السمرة ضيق عظيم بسبب الجزية التي فرضت عليهم . وفي اواخر خلافة المعتصم خرج رجل اسمه ابو حرب واخذ نابلوس (والقدس ايضاً) وشتت اهلها وجرح كاهن السمرة الكبير فهرب الى الخليل ومات فيها . وفي سجلات السمرة اخبار متعلقة بعبادتهم وجبلهم وان بعض الحكام منعوهم عن العبادة عليه وغيرهم اذن لهم .

واستولى الصليبيون على نابلوس وصارت مقر الأمراء . ولا سيما النساء النافذات الكلمة منهم وكانت ذات شأن كبير عندهم لحصنوها . وفي سنة ١١٢٠ عُقد فيها مجمع كنسي كبير كان

القصد منه اصلاح امر الصليبيين . اما تواريخهم فانها تكاد تخلو من ذكر السامريين . واول اشارة الى نابلوس في تاريخهم انهم لما فتحوا القدس أتى قوم من جبال السامرة يحملون هدايا ويرحبون بهم ويدعونهم الى الاستيلاء على بلادهم فقبل الطلب لانهم كانوا قد صمموا على فتح السامرة . والارجح ان هؤلاء كانوا سمرة كانوا قد ضجروا من حكم المسلمين . ويقول احد المؤرخين ان نابلوس كانت من املاك غدفري ملك القدس . وسنة ١١١٣ اخذها المسلمون من الصليبيين وأخربوها وسنة ١١٣٧ أخذها بزواش حاكم دمشق على غرّة وذبح جميع سكانها تقريباً . ويقول مؤرخو السمرة ان رجلاً اسمه بازوكو زيدنه والارجح انه بزواش ساق ٥٠٠ من السمرة أسرى الى دمشق ففداهم رجل سامري من عكا فعادوا الى غزة . وسنة ١١٨٤ أخذها صلاح الدين الايوبي بعد رجوعه عن الكرك واخربها ما عدا قلعتين فيها . وبعد واقعة حطين دخلتها جيوشه ثانية واخربتها وبقيت في ايدي المسلمين مدة استظهار فردريك الثاني سنة ١٢٢٩ . وفي سنة ١٢٤٢ استرجعها الصليبيون واحرقوها وقتلوا جميع الذين لم يتنصروا من المسلمين (المقريزي) . وسنة ١٢٤٤ عند ظهور الخوارزميين اخذتها جيوش مصر الموالية لهم بعد واقعة غزة (المقريزي) . وفي تواريخ السمرة انه نحو هذا التاريخ قدم من بلاد الشرق شعب وقح واخذوا ارض كنعان وقتلوا عددا كبيراً من اهل نابلوس وسبوا كثيراً من الرجال والنساء والاولاد وبينهم وارث الامامة السامري الى دمشق وهناك فكهم السمرة اخوتهم لكن لم يَعد منهم الى نابلوس غير القليل . وقد تكون الاشارة الى ايام هولاكو التتري سنة ١٢٥٩ عندما سقطت نابلوس في ايدي المغول .

وسنة ١٢٦٠ جرت الواقعة في عين الجالود (في مرج ابن عامر) بين مماليك مصر والمغول التي استظهر فيها المماليك . وعلى أثرها أبادوا قوة المسيحيين في سوريا وفلسطين . فان السلطان بيبرس سنة ١٢٤٠ — ١٢٧٧ حارب بقايا الصليبيين حروباً شديدة ودمر مقادس المسيحيين وبين هذه الناصرة وتابور وشكيم وجلا المسيحيين من نابلوس واسكنهم دمشق سنة ١٢٦١ . وفي ايامه وايام خلفائه خربت البلاد وكثر اللصوص وقطاع الطرق وساءت احوال الناس ودخل قلاون احد سلاطين مصر المماليك سوريا وأخذ انطاكيه وطرابلس وبيروت وصور وصيدا واستولى على جميع حصون الصليبيين وكانت فتوحات المدن الحصينة تعقبها مذابح هائلة . ودخل جيشه نابلوس وطردوا المسيحيين منها وهدموا كنائسهم واخذوا من السمرة كنيسهم المعروف بحزن يعقوب او الخضرا . وشملت مصائب تلك الايام السامريين حيثما كانوا فتبعتهم الى قيصرية وغيرها من مستعمراتهم ولم يبقَ لهم ملجأ سوى مصر ودمشق

وقد اتى مؤرخو العرب على ذكر السامريين وذكر نابلوس وجبلها المقدس وبينهم المقريزي والمسعودي في مروج الذهب والاصطخري والبيروني وذكرهم الشهرستاني في الملل والنحل وياقوت وقد وصف الدمشقي نابلوس (نحو سنة ١٣٠٠ م) وجمالها وتجارتها وذبيحة السامريين واكثرهم يقولون ان السامريين يسكنون نابلوس ولا يوجدون خارجها .

وقد ذكر سياح اليهود السامريين في اخبارهم ومنهم بنيامين من توديلا الذي زار فلسطين سنة ١١٦٣ ووجد ٢٠٠ منهم في قيصرية وقال انه كان في نابلوس نحو الف سامري ووجد في عسقلان ٣٠٠ وفي دمشق ٤٠٠ وانهم على وئام مع القرائين من اليهود فيها وعددهم ١٠٠ لكنهم لا يتزوجون منهم .

وقد ذكر مشلام بن مناحيم اليهودي الذي زار القدس سنة ١٤٨٠ انه وجد في القاهرة ٥٠ عائلة سامرية مع ٨٠٠ عائلة من اليهود و ١٠٠ من القرائين ويشير الى عبادتهم على جرزيم وان لهم كنيساً في مصر . وقد ذكر مثل ذلك عوبدايا من برتينورو بعد هذا التاريخ ببضع سنين .

ويظهر ان السمرة جعلوا دمشق ملجأهم في الحروب والاضطرابات التي حدثت في القرون الوسطى ونجحوا فيها وأثروا وسكنها رؤساء كهنتهم فكانت هجرة متوالية من نابلس الى دمشق ومن دمشق الى نابلس .

وفي اخبار السامريين

انه في ايام السلطان عثمان الاول كان على نابلس حاكم اسمه باروك فقام عليه اعداؤه وقتلوه فاسترجع السمرة كنيسهم المعروف بجامع الخضرا . غير ان المسلمين عادوا فاستردوه وحولوه الى جامع . و سنة ١٥٣٨ عاد قسم كبير من السمرة من دمشق ومعهم الكاهن الاعظم وابنه وفي ايام محمود الاول سنة ١٧٣٠ — سنة ١٧٥٤ اشترى السمرة من المسلمين قطعة ارض على جبل جرزيم لاجراء رسومهم الدينية .

ولكن السمرة ظلوا مدة ٢٥ سنة حتى سنة ١٨١٠ ممنوعين من العبادة على الجبل . و سنة ١٨٣٢ اخذ ابرهيم باشا نابلوس وسنة ١٨٤١ تآمر المسلمون على السمرة وهموا بذبحهم بحجة انهم ليسوا اصحاب كتاب وحاول السمرة ان يفتدوا انفسهم بالمال فلم يفلحوا ولم يكف الشعب الا بعد ان اصدر الحاخام الاعظم لليهود في القدس شهادة بان السمرة فرع من بني اسرائيل الذين يؤمنون بالتوراة . وانهم اصحاب كتاب . وهذا الاضطهاد حمل السمرة على تقديم عريضة بالعربية والعبرانية الى الحكومة الفرنساوية سنة ١٨٤٢ ولكن لاسباب سياسية لم يظهر الملك لويس

فيليب هذه العريضة ولم يعرف امرها الا فيما بعد. وسنة ١٨٥٤ قدّم السمرة عريضة الى الحكومة الانكليزية يطلبون فيها ان يتوسط الانكليز لدى الباب العالي وقدموا عريضة اخرى للأمة الانكليزية عن يد يعقوب الشلبي السامري كان نتيجتها لفت نظر اللورد شافتسبري اليهم وجمع بعض الاموال لمساعدتهم. وقد سلم السمرة من الملاشاة بحماية الدول الاجنبية ومساعدة قناصلهم سيما قنصل انكلترا في القدس.

السامريون في الوطن

اختلفت حدود السامرة الجنوبية الى جهات القدس فتارة كانت بيت ايل وتارة المصفاة (وهي تل النصبة). على ان بعد السبي يظهر من سفر نحميا ٣ و١١: ٢٥ ان الذين اشتغلوا في بناء سور اورشليم لم يكونوا ابعد من جبعون (الجيب) والمصفاة وميروؤت ولقد كان سنبلط من بيت حورون. وبقعة اونو في الشفيلة كانت للسامريين فكان يفصل بين اليهود والسامريين خط يمتد من يافا الى اونو الى لدة ثم الى بيت حورون وجبعون والمصفاة. وفي ايام المكابيين اضاف اليهود الى كورتهم برضا ملوك سوريا عفرة (الطيبه) ولدة ورامتايم (لعها بيت ريما) ويجعل يوسيفوس الحد الى بوركيوس (ربما بروقين) ويجعل يوسيفوس حدود السامرة الشمالية من جنين الى قضاء عقربين ويُفهم من كلامه ان حد اليهود كان قد امتد الى نحو ٧ اميال جنوبي نابلس.

ويظهر ان السمرة سكنوا الفندقومية او الفندق وعين السامرية وساليم (على الاردن) وسوخار (وهي مولد سيمون الساحر) وقرية جيت وسالم (او سالم الكبرى وهي قرية سالم شرقي نابلس) وطيرا لوزه (طلوزه) ودبارين (عين الدبور) وعورّتا وبيت فوريك وعقربتا ومرده وتمنة حارس وزيتا وكاراوه وطول كرم وقرية حجا وسرافين وعفرة — فرعتون وجنين وشكيم

وفي القرن السابع سكنوا بيت دجن وغزه وجرار (ام الجرار) وكفر نماره (بيت نمرين) والرملة وكفل سافيرية (سفيرية) وسيرين وتوتا (ام التوت) وكفر مردان (مرده) وقرية أفلته (عفولة) وبيت بزين وسهل روجيب ومخنه أل اليونه (قرية مخنه) وقرية تزيكاثة (قوزة) وقرية إتصافه (ام صفاه) وكفر قلين وقرية هم مشفط (جن صافوت)

السامريون في الهجرة

وقد وجد في بيت حورون (بيت عور وهي Emmaus Nicopolis) آثارات ونقوش سامرية. وكان السامريون قسماً مهماً من سكان الرملة عاصمة الفاطميين وسكنوا عكا وقيسارية

وحاربوا النصارى فيها وسكنوا في ارسوف ويافا وعسقلان وغزة وميناثها ميوماس . وظلت غزة مقراً لهم بعد خراب المدن الشمالية في ايام الصليبيين (وكان في غزة قبل الحرب العالمية حمام يعرف بحمام السمرة) وفي رسائل (Huntingdon & Scaliger) واخبار نيبور اشارات الى السمرة في غزة في القرن الثامن عشر ويظهر انهم كانوا يزعمون انهم من نسل بنيامين وفي الرسائل ذكر لافراد من الجماعة في جرار . وكان لهم مستعمرة كبيرة في بيسان (Scythopolis) كما يستفاد من اخبار الاضطرابات في ايام يوستنيانوس سنة ٥٢٩ ب. م. ويظهر انهم استعمروا في شرق الاردن مدينة ترسيلا (Tharsila) التي على قول يوسيبيوس القيصري كانت ملجأ للهاربين منهم وللفرق المتقشفة من جماعتهم . وانتشروا في سوريا فسكنوا دمشق وصور ومنهم ابو الحسن الصوري الكاتب السامري اللاهوتي (لكن بعض السامريين يقولون انه ينتسب الى صور وهي عين صور نحو ٣ اميال جنوب نابلوس) ووُجدوا في بعلبك وكفر شما في لبنان وفي طرابلس وحماه وحلب ويوجد دليل على وجودهم في بابل في القرن الرابع بعد المسيح .

ووجد منهم في مصر وقد جلاهم اليها ملوك اليونان او استخدموهم مسترزقة او انهم نزلوها للتجارة .

وفي بعض البابيروس المصري اشارة الى قرية مصرية اسمها السامرية في القرن الثالث ق. م. ومن رسالة ١٨٠٨ المشار اليها انفاً يظهر انهم انقرضو من قبل ذلك التاريخ بمئة سنة وفي سنة ١٦١٦ وجد منهم دي لا فاللي جامعاً وسبع عيال فقط وهنتنجدون لم يجد في اواخر القرن السابع عشر الا رجلا شيخاً .

وقد ورد في جغرافية الادريسي في وصف الجزائر في اعلى البحر الاحمر ما مفاده ان المدعوة ساميري يسكنها قوم يهود وسامريون . ويعرفون بانه اذا اراد احدهم ان يضر الآخر قال هذا لامساس وانهم نسل اليهود الذين عبدوا العجل ولا غرابة في قوله فان اليهود هاجروا الى بلاد العرب .

وقد تفرق السامريون في الغرب فوجد لهم آثار ونقوش في اثينا وكان منهم افراد في القسطنطينية يشتغلون صيارفة وكانت لفظة السامري مرادفة لمحاسب . وقد وجهت بعض اوامر القياصرة الصارمة الى الذين انتشروا في المملكة الرومانية لاجل الصرافة والتجارة .

وسنة ١٥٠٠ بعد المسيح كان منهم مستعمرة في رومية . وفي رسالة ١٨٠٨ يقال ان السمرة لم يكونوا موجودين في سوى نابلس ويافا وان عددهم ٣٠ عائلة فيها ٢٠٠ نفس مقسومون بين المدينتين .

تواريخ السامريين

ان اهم آثار السامريين التاريخية هي ما يلي :

١) التوليدة او «تاريخ ما جرى بين السامريين واليهود واخبار السامريين الى الوقت الحاضر» وهي بالعبرانية وقد ترجمها ونشرها العلامتان نيوباور وهيدنهيم Neubauer and Heidenheim والمكتشف هو نيوباور ولهذا تعرف بأخبار نيوباور Chronicle Neubauer واساسها كتبه العازر ابن الكاهن عمران سنة ١١٤٩ ب. م. والتاريخ يبتدىء من آدم وقد زاد عليه احد احفاده يعقوب بن اسماعيل. وقد صدّره بحساب سني اليوبيل من فتوح ارض كنعان الى زمن الكاتب سنة ١٣٤٦ ونما هذا التاريخ باضافات زادتها ايادٍ مختلفة الى سنة ١٨٥٦ وهذه التوليدة هي عبارة عن سلسلة الكهنة ورؤساء العيال السامرية مع محلات اقامتهم واشارات طفيفة الى تاريخ غير السامريين.

٢) سفر يشوع وهو كتاب عربي باحرف عبرانية واقدم نسخة تاريخها سنة ١٣٦٢ ب. م. وقد نشر هذا السفر Junyboll وترجمها وعلق عليها سنة ١٨٤٦ والنسخة موجودة في مكتبة ليدن في هولاندا. وفيها اخبار ايام موسى الاخيرة وقصة بلعام والحرب مع مديان واخبار يشوع وشوبك بن حمام وايام الرضوان الى زمن شمشون واخبار السخط الالهي بسبب انقسام بني اسرائيل في ايام عالي وصموئيل وخراب اورشليم واخبار الفرس واخبار سنبلط وزربابل والاسكندر الى ايام ادريانوس واخبار الامام عقبون وابنه نثنائيل وحفيده بابارّبا وسنورد نبذة من سفر يشوع السامري.

٣) تاريخ ابو الفتح وهو افضل جهود السامريين في كتابة تاريخ لهم. وهو مكتوب بالعربية الدارجة وكاتبه يسرد الاخبار كما هي دون نقد او تمحيص وليس عنده تناسب في استعمال مادته. وقد نشر هذا التاريخ فلمار Vilmar وترجمه پاين سميث Payne Smith اما ابو الفتح فهو من عائلة الدنفية وقد ذكر ان السبب في تأليف تاريخه انه كان ساكناً في بلاد اجنبية فسأله حاكمها عن اخبار طائفته فجاء الى نابلوس سنة ١٣٥٢ ب. م. وزار فينحاس الكاهن الاعظم ولكنه لم يبتدىء الا بعد ٣ سنوات حين زار نابلوس مرة ثانية وطلب من الكاهن الاعظم ان يزوده بالمصادر الضرورية لتأليف تاريخه وقد ذكر المصادر التي استقى منها اخباره. ويظهر انه استعمل التوليدة وسفر يشوع المذكورين سابقاً. وتاريخه يمتد من آدم الى الفتح الاسلامي او

بالحري الى سنة ٧٥٦ مسيحية . وتوجد نسختان فيهما زيادة الى صدر الزمن العباسي وقد زيد عليهما اخبار السامريين الى سنة ١٨٥٣

٤) توليدة اخرى تعرف بتوليدة Chronicle Adler (خبر ادلر) على اسم مكتشفها وناشرها ادلر . اما لغتها فعبرانية مع بعض كلمات سامرية (كذا في الاصل ولعل المراد ارامية) وفيها صلاتان باللغة السامرية وترنيمة لبابا ربا وترنيمة لماركا . وهي مرتبة بحسب سني الخليقة وتعاقب البطاركة ورؤساء الكهنة حتى سنة ١٨٩٩ وهي اوسع من التوليدة السابقة وقد اعتمد صاحبها على تاريخ ابي الفتح وفيها اخبار غير موجودة في سواها وهي احدث من التواريخ السابقة وتذكر اخباراً لغير السامريين .

نبدة من سفر يشوع السامري بلغته الاصلية

(وهو خبر كيف سهل الله خلاص بني اسرائيل من السحره)

وقد سُحر يشوع وعسكره في اللجون في حربه مع ملوك الشمال ضمن سبعة اسوار حديد فاستنجد بابن عمه نبيح ملك شرق الاردن وذلك بان ارسل اليه رسالة مع حمامة من حمام الزاجل :

لما شاهد يوشع ما صار اليه بقي في حيرة عظيمة ومخافة شديدة واخذ يتمنى على ربه حمامة تحط عليه من حمام بن عمه فلم يفرغ من تمنيه حتى حطت الحمامة في حرجه فحمد الله عزّ وجلّ ثم شاهدها وايقن بالفرج واخذ وكتب الى نبيح بن عمه ما انا ذاكره بمشيئة الله وعونه تعالى

نسخة الكتاب

كتبت يا بن عمي حفظك الله وانا كئيب القلب ضعيف القوة باكي العين صغير النفس مشرف على الهلاك وثلاث ماية الف رجل معي قد تمت علينا حيل السحره وانا وقومي محبوسين محيرين داخل سبع حيطان حديد وبين يدنا ستة وثلاثين ملكاً بالفرح التام والسرور العام ونحن في الحزن والبكاء والخوف وما تم علينا مثل هذا الامر لما يريده الله تعالى من رفع ذكرك وانتشار امرك ثم الله الله يا ابن عمي مضعفاً مكرراً وانت تعلم ما بيني وبينك من العهود والمواثيق فانهض لوقتك ولا تنام وان كنت نايم فانتبه وان كنت منتبه فاجلس وان كنت جالس فقوم وان كنت قايم فامشي وان كنت ماشي فاجري فاني انا وجماعة اخوتك منتظرين الفرج من الله ومن

جهتك محبوسين داخل سبع حيطان حديد عند اللجون وجماعة اعدائنا بالقيمون ولا يلحقك فتور ولا تضجع ولا توقف واسبق الرياح الهابة واظهر ما ستذكر به اخر الدهور السالفة بمشيئة الله وعونه فلما فرغ يوشع من طي الكتاب لم يصبر الحمام الى ان ربط جناحه بل خطفه بفاه وشفق وحلق .

خبر ما كان من نبيح وما اجراه

فلم يشعر نبيح وهو جالس على كرسي حكمه بحدود الوسط عليه لباس اخضر وعمامة خضرا وهو في نظر احكامه حتى طرحت الحمامة الرقعة في حجره ففتحها وقرأها وتغرغرت عينيه بالدموع وصاح صيحة عظيمة اهتم المجلس لها ونادى بنفسه والحقوا اخوتكم فانهم محبوسين داخل سبع حيطان حديد بالسحر في اللجون معاشر الناس العجل العجل وصاح من حوله صيحة عظيمة سمع صوتها من افق السماوات ومن اقطار اقطاعهم وانتشر الصراخ واتصلت الاصوات واجتمعوا للوقت حتى كانهم كانوا على عده من زمان ومن مدة : ستة الاف رجل لباسهم اخضر وخيلهم سود : وستة الاف رجلاً لباسهم ابيض وخيلهم صفر : وسته الاف رجل لباسهم اسود وخيلهم بلق سوى الملونة المشهورة كثير بغير عدد واتصل عويل النساء والصبيان وخرج كثير من الرجال ما لا احصا لهم وخرج نبيح راكب مهر مشتهر يجري مع الرياح وعسكره خلفه وهو يقول النار النار لا هدو ولا قرار وارتفع الصراخ الى العلو والتفت الغبره بالهواء حتى ان الطيور تساقطت وانهزمت من الريح العظيم الى البرية ولم تهدأ الوحوش في اوكارها وشوهدت منهم ما لا يشاهد فيما مضى مثله فلما دنا نبيح من المرج الكبير توقف حتى اجتمع عسكره واتفق ان والدة شوبك صعدت الى منظر لها في القيمون تعبد النيّر الاعظم عليه حسب عادتها فلما نظرت الكوكب المنير اعني نبيح الشرق بادرت بالنزول الى ولدها وقالت له ان قمراً منيراً طالع من الشرق وحوله كواكب مضيئة يعني نبيح وعسكره فان كان من اعدائنا فيا ويلنا وان كانت في معونتنا فطوبانا فسخط عليها اذ بادرته بالويل فقتلها لا رحمها الله ولبس الجوشن واخذ قوسه ونشابه مخيط به لؤلؤ ومرجان فنادى في عسكرة فتقدم هو فريداً الى نبيح فلما قرب منه وشاهده قال له يا نبيح مالك تنبح فاجابه نعم اسمي نبيح : «نبيح بن جلعاد بن ماكير بن منسّا بن يوسف» الذي له الملك من يعقوب ابن اسحاق ابن ابرهيم القاتل لملوك الشام واطلقني ربي لاحرمك واهلكك كما قتل ابي اباك كذلك يقتل ولدُه ولدَه وانت يا مجرم يا نجس من انت فقال انا شوبك بن حمام

بن لوط بن حام بن نوح الذي باركه الله وقت خروجه من السفينة فاقف الى ان ارمي قبل واقتل ثانياً فقال نبيح بالله استعنت لانك ترمى قبل وتقتل قبل اطلق يا مجرم يا نجس فاطلق له النشابه الاولى وكان لعنة الله رجلاً رامٍ متعمداً لا يخطي فميل نبيح راسه وجازت عنه ولم تلحقه ثم أطلق له النشابة الثانية فرفع نبيح نفسه في الهواء فجازت بينه وبين سرجه فاطلق النشابة الثالثة فلقيها نبيح بيمينه فاخذ شوبك لعنهُ الله يريد الهزيمة فقال له نبيح الى اين تهرب يا مجرم يا نجس انا قبلت منك ثلاثة شواهد فاقبل شاهداً واحداً خذها من اليمين الذي باركه الله له القوة العظيمة ثم رماه نبيح فارتفعت النشابة الى السماء ونكست في راس الرجل الى كبده فالى كبد فرسه وغاصت في الارض خمسة اذرع ملكي تكون اثنا عشر ذراع بهذا الذراع ونبع الموضع لوقته عين تسمى عين النشابة الى هذا الوقت فلما شاهد بنو اسرائيل الآية صرخوا الله عز وجل قائلين لا حول ولا قوة الا بالله تعالى فسمعهم يوشع ومن معه مسجونين فاوحى الله اليه قول للكاهنين ان يضربوا بالبوقين ففعلا كذلك فافترقت الحيطان وهبطت فانطبقت العساكر على الاعدا وسمعت ابواق الملايكه من السماء فقال يوشع للنهار قف لي فوقف وللرياح اعينوني فعانته وكان الاعدا يرمون من الشرق وريح الغرب يرد الرمية الى راميها وكذلك من ساير النواحي والرجل الذي كانت معه الصاحقة لما حذف بها عادت على الاعدا قتلت منهم الف رجل ولم يزل السيف يعمل في باقيهم الى ان غاص الفرس في الدم الى نحره حينئذ قال يوشع الى قومه هذا اليوم انقضاء امر اعدائكم الاحزاب واحزاب الاحزاب وكل بني اسرائيل يسبحون ويهللون لملك الملوك ورب الارباب الذي نجاهم ووقاهم وحفظهم وخلصهم واستاصل اعداهم وكان الملك يسبح ويقول الله المحارب عنا في الحروب الله اسمه وبني اسرائيل يتبعوه ويقولوا باجمعهم من كمثلك متناهي في القدس باهوال يا مطاع يا صانع المعجزات يا حافظ عبيده ومحبيه في كل موضع يحلون فيه وهذا فصل من فصول سيدنا موسى النبي عليه السلام في تسبيحه على البحر وكان يوشع يقول الله المحارب عنكم وانتم تصمتون وهذا من قول النبي عليه السلام ايضاً وباتوا في موضع القتال واستراحوا تلك الليلة ولم يقطعوا ذكر الله طول ليلهم بالتسبيح والتهليل الى طلوع الشمس مطمأنين من كل عدوٍ ثم عادوا بهرج وفرح وسرور وغنيمة بعد تلاف اعدائهم ومحوا ذكرهم والله الناصر الحافظ والمراعي هو حسبنا ونعم الوكيل .

(انتهى)

عاصمة السامريين

ان الذي يطلع على تاريخ السامريين يجد ان شكيم او نابلوس هي المحور الذي يدور عليها تاريخهم لانهم يقدسون جبلها جرزيم ويزعمون انه منذ دخول بني اسرائيل الى ارض كنعان ظل السامريون (اي المحافظون على الديانة) يعبدون على جرزيم كما مرّ بك في المقدمة. وقد ذكرنا لمحة من تاريخ شكيم بعد المسيح وقبله خارج ما هو مذكور في العهد القديم لارتباط تاريخها بتاريخهم ونحن الان آتون على خلاصة مما ورد عنها في العهد القديم.

هي واقعة بين جبلي جرزيم (الجنوبي) وعيبال (الشمالي) وقد قيل فيها «جبلاها جملاها». وهي في رأس واد خصيب يمتد الى سهل شارون. وجميع من زارها من السياح اعجبوا بجمال موقعها وخصب واديها فوصفوه باحسن وصف. ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر بين ١٧٠٠ و ١٨٠٠ قدم. وعلو عيبال ٣٠٧٧ قدماً وعلو جرزيم ٢٨٤٩. وكان السامريون ولعل بعضهم لا يزالون يعتقدون ان جرزيم اعلى جبال العالم وانه (جبل البركة) اعلى من عيبال جبل اللعنة وفي اخبارهم ان الطوفان لم يغمره. ومن هذين الجبلين سيما جرزيم تروى شكيم بمياه ينابيعها الغزيرة فكانهما ثديان يرضعان شكيم الطفلة المضطجعة بينهما. فجرزيم لها بمعنى طبيعي جبل البركات. اما عيبال فكثير من مياهه ينحدر الى الشرق الى وادي الباذان. ويظن ان هذين الجبلين كانا كسائر جبل افرايم ومنسى مكسوّين بالغابات. فانه لما تذمر بنو يوسف على يشوع ان حصتهم لا تكفيهم قال لهم «يكون لك الجبل لانه وعر فتقطعه وتكون لك مخارجه» (يش ١٧: ١٥ و ١٨) ونقرأ في سفر القضاة (٩: ١٨) ان ابيمالك صعد مع رجاله الى جبل صلمون (والارجح انه جرزيم) وقطعوا اغصاناً من الاشجار واحرقوا بها برج شكيم. وكذا نقرأ عن بلوطة مورة (تك ١٢: ٦) حيث نصب ابرهيم خيمته وبلوطة النصب (قض ٩: ٦) وبلوطة العائفين (قض ٩: ٣٧) وعن البطمة حيث طمر يعقوب الآلهة الغريبة ولا يزال في جوار نابلس شجرات منفردة من السدر كما في النبي العمود وفي حضيض عيبال مقابله والسري والوادي فهي من بقايا الغابات القديمة.

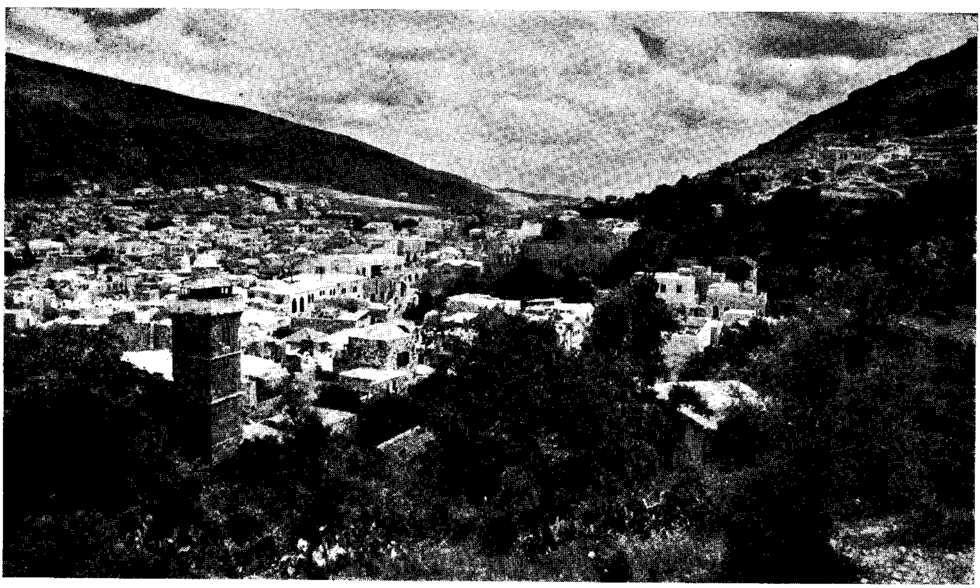
وقد ذكر الجرزيون في الكتاب المقدس في (١ صم ٢٧: ٨) حيث يقال «وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لان هؤلاء من قديم سكان الارض من عند شور الى مصر». ولم يكن ميدان هذه الغزوة جوار جرزيم بل ارض الجنوب فلعل الجرزيين

كانوا قبائل رحل سكنت حول جرزيم وسمي باسمها ولـكنها لسبب ما عند دخول بني اسرائيل او قبله هاجرت الى الجنوب . اما سكان شكيم في ايام ابرهيم ويعقوب فكانوا من الحوّيين ومنهم حمور ابو شكيم الحوّي . ويمتاز جبل عيبال بكثرة المغاور المنحوتة في سفوحه في الصخر وقد وُجد فيها نواويس قديمة . فيظهر ان الجبل كان في ايام الـكنعانيين او في ايام الاسرائيليين مدفناً لاهل شكيم بل لجميع سكان الوادي لان المغاير تمتد على طول الجبل غرباً . وقد بحث الباحثون عن كتابات قديمة على صخوره فلم يجدوا . وأرجح ان هذا الجبل هو المكمتة (١) (يش ١٦: ٦ و ١٧: ٧) التي قيل انها مقابل شكيم . وآثار السياجات على سفوح الجبلين تدل على انه كانت مزروعة بشجر الـكرم والتين والزيتون شان غيرها من جبال وسفوح فلسطين وقد ورد في سفر القضاة (ص ٩: ٢٧) انه عندما جاء جعل بن عابد مع اخوته وثق بهم اهل شكيم وخرجوا الى الحقل وقطفوا كرومهم وداسوا . وانه وان لم توجد كروم تذكر منذ قبل نحو اربعين سنة من نابلس حتى جنين ومرج ابن عامر الا ان جبال السامرة (جبل نابلوس) كانت مملوءة كروماً في ايام الاسرائيليين كما تدل عليها الاثار وكما يشهد بذلك قول النبي «وتغرسين بعد كروماً في جبال السامرة» (ارميا ٣١: ٥) ولعلها عند الفتح الاسلامي قطعت لـكي لا تصنع منها الخمرة . اما الان فان جبل عيبال مكسو بشجر الصبير وهو من الاثمار التي تمتاز بها نابلوس .

وشكيم مدينة قديمة وقد ورد ذكرها على لوح من الواح تل العمارنة (ب نمرو ١٩٩) في الالف الثانية قبل المسيح اذ قيل ما ترجمته «لاپايا وشكيم اعطتا جزية الى الخبيري» . وربما المقصود بالخبيري العبرانيين وظن البعض ان ذلك بعلاقة حادثة دينة (تك ٣٤) وفي بابيروس Anastasi I من سفرات موهار اشارة الى جبلها المقدس» جبل سكما » . اما لفظة شكيم فزعم البعض انها نسبة الى شكيم ابن حمور الوارد ذكره في تك ٣٤ . والارجح ان المدينة سميت شكيم ومعنى اللفظة كتف لانها واقعة على كتف جبل جرزيم . وقد زعم يوسيبيوس القيصري المؤرخ والقديس ايرونيموس ان اسمها القديم كان سالم . على ان سالم قرية تبعد عن نابلوس نحو ميلين الى الشرق والسامريون يسمونها سالم الـكبرى ويزعمون انها مدينة ملـكي صادق . وهذا الزعم مبني على ترجمة يحتملها الاصل العبراني للاية ١٨ من تك ٣٣ وهي «وجاء يعقوب الى ساليم مدينة شكيم او مدينة لشكيم» على ان الترجمة المتبعة هي كما في التوراة العربية «وجاء يعقوب سالماً الى شكيم» . ووجود مكان قريب من شكيم اسمه سالم يبعد الاحتمال ان تكون شكيم وسالم مدينة واحدة .

---

(١) وقيل هي قرية مخنا وقيل هي قرية يتنا



منظر عام لمدينة نابلس



احد شوارع المدينة بعد الزلزال سنة ١٩٢٧

اما نسبة موقع نابلوس الحديثة الى شكيم القديمة فيظهر ان شكيم القديمة كانت واقعة الى جهة الشرق بقرب بلاطة فان پليني المؤرخ ويوسيفوس يعينان مكان نيـــاپوليس (نابلوس التي بناها فاسبسيانوس نحو سنة ٦٨ ب . م .) عند بنائها ويقولان انها بنيت في محل كان يسمى مابورثا (لعل المعنى معبرة) ويؤيد هذا الفرق بين موقع المدينة القديمة والجديدة سائح بوردو (نحو ٣٣٣ ب . م .) ويقول يوسيبيوس القيصري «ان شكيم او سيكيما التي هي ســـالم مدينة يعقوب الان مهجورة» . وخارطة مادبا تميز بين نابلوس وسيكم والتقرير الاركيولوجي في دائرة المساحة الانكليزية يقول «ان خرائب نابلوس تمتد الى مسافة شرقي المدينة الحديثة فانه وجدت اقبية عند حفر آساس القشلاق» (وهي القشلاق العسكري) . واعتقاد السامريين ان المدينة كانت ممتدة الى الشرق وقد قيل لي ان البعض من اهالي نابلوس يملكون حججاً لابنية ودكاكين لا توجد بعد في الجهة الشرقية خارج البوابة الشرقية . ونابلوس الحديثة بنيت من انقـاض شكيم التي هدمها فاسبسيانوس القائد الروماني بعد ان فتحها .

واول ذكر لشكيم في العهد القديم في سفر التكوين ص ١٢ : ٦ عندما جاءها ابرهيم حيث يقال «واجتاز ابرام في الارض الى مكان شكيم الى بلوطة (١) مورة . وكان الـكنعانيون حينئذٍ في الارض . وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطي هذه الارض . فبنى هنـاك مذبحاً للرب الذي ظهر له» . وقد استنتج البعض من القول «الى مكان شكيم الى بلوطة مورة» انـ شكيم لم تكن مبنية حينئذٍ . وذهب البعض الى ان ابرهيم اشترى قطعة ارض هنـا حيث بنى المذبح وان الاموريين (او الحموريين) استولوا عليها فاستردها يعقوب منهم بسيفه وقوسه ووهبهـا ليوسف ابنه خاصة في بركته (انظر تك ٤٨ : ٢٢) وهذا ممكن اذ انه يستبعد ان يبني ابرهيم مذبحاً دون ان يشتري ارضاً ليقيمه عليه . ولا نقرأ بعد هذا ان ابرهيم جاء الى شكيم غير انـ السامريين يزعمون وقد وافقهم القس دين ستانلي في زعمهم ان الجبل الذي قدم عليه اسحق ابنه كانـ جبل جرزيم وهو جبل الموريا ومعناه الجبل البهج كما انهم يسمون المرج الذي تحته مرج البها (آلون مورّه) ويدلون على مكان المذبح ويدافعون عن زعمهم بان ابراهيم كان في بئر السبع وانه وصل المكان في اليوم الثالث وان جبل المريا في اورشليم ليس بعيداً ثلاثة ايام عن بير السبع . على ان ابرهيم كان شيخاً ولم يكن مستعجلا على ذبح ابنه وكان راكباً على حمار وغلاماه واسحق معه وآخر

---

(١) السامريون يترجمون اللفظة العبرانية بسهل او مرج ويقولون ان ابرهيم آتى الى سهل مورة او مرج البهـا وهو سهل عسكر

آية (٣٤) في الاصحاح السابق لقصة تقريب اسحاق تقول ان ابرهيم كان متغرباً في بلاد الفلسطينيين ولا يستفاد انه كان ساكناً في بئر السبع . ولا يرد ذكر لشكيم في حياة اسحق ولكن لما عاد يعقوب من فدان ارام من عند خاله لابان يقال (تك ٣٣:١٨) وأتى يعقوب سالماً الى مدينة شكيم ونزل امام المدينة وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور ابي شكيم بمئة قسيطة واقام هناك مذبحاً ودعاه ايل اله اسرائيل ، ولا يبعد ان يكون اقام المذبح في مكان مذبح جده ابرهيم . وهنا حدثت قصة دينة ابنة يعقوب مع شكيم بن حمور وبسببها هجم شمعون ولاوي ابنا يعقوب على اهل شكيم وهم متوجعون بسبب الختانة وقتلا كل ذكر فيها وقتلا حمور وشكيم ابنه «ونهبوا المدينة غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل اخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل اطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت» . وهنا ظهر الله ليعقوب وامره ان يصعد الى بيت ايل فعزل الآلهة الغريبة والاقراط وطمرها تحت البطمة (او البلوطة) التي عند شكيم . (تك ٣٥:٤) .

ويظهر ان اقامة يعقوب في شكيم كان لها تأثير في مستقبل شكيم فانها اصبحت ثمينة في نظره علاوة على كونه اقتنى فيها ملكاً . في بركته ليوسف (تك ٤٨:٢٢) «وانا اعطيتك سهماً فوق اخوتك» والاصل العبراني يحتمل لفظة شكيم مكان «سهم» فتصير العبارة وانا اعطيتك شكيم فوق اخوتك . ويؤيد هذا المعنى ان عظام يوسف دفنت في شكيم وقول البشير يوحنا في الاصحاح الرابع من انجيله ان سوخار قرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه . فيؤخذ من ذلك ان التقليد كان شائعاً بان الضيعة ولعلها شكيم نفسها كانت في ذلك الجوار . ومار استيفانوس يقول في خطابه اع ٧:١٥ ان الآباء بعد موتهم نقلوا الى شكيم . ولا يزال في نابلوس جامع فيه بئر نبع في حارة الحبلة يعرف بجامع الانبياء ويقول قيم الجامع ان فيه دفن اولاد يعقوب . والبئر الذي جلس عليه السيد المسيح تقول المرأة السامرية في حديثها مع السيد انه كان ليعقوب وانه شرب منها هو ومواشيه واعطاها للسامريين .

اما بلوطة مورة التي نصب ابرهيم خيمته تحتها فقد زعم الكثيرون انها كانت في جوار بلاطة وان قرية بلاطة اتخذت اسمها منها ومن الغريب ان اسم المطران الذي قطع ابهامه في هجوم السامريين على المسيحيين سنة ٤٨٤ ب . م . كان اسمه تريبنثوس (ومعناها بطمة ترجمة آلون اي بطمة او بلوطة انظر الترجمة الانكليزية المنقحة) . فلعل التقليد جعل اسم المكان باسم البلوطة ولما جاء العرب ترجموا اللفظة الى بلوطة .

اما هجوم ابني يعقوب على شكيم وذبحهم لسكانها المختونين وهم متوجعون فلعل تفسيره انهم هجموا على مدينة صغيرة ولعل المكان الذي هجموا عليه برج شكيم نفسه وهو المدينة ذات السور التي اكتشفت حديثاً بقرب بلاطة واذا فرضنا ان ابني يعقوب اقاما رجالاً على باب المدينة ودخلا ليلا وضربا الذكور لم يبقَ صعوبة في الامر. ورحل يعقوب بعد تلك الحادثة الى بيت ايل خوفاً على نفسه وقومه مما ارتكبه ابناه لاوي وشمعون ولعل من بقي من اقرباء حمور وشكيم ابنه استولوا بعد ذهابه على ارضه فعاد واستردها منهم بحرب لم تذكر. وظلت العلاقات بين يعقوب وشكيم لاننا نقرأ في قصة يوسف ان اخوته ذهبوا ليرعوا الغنم في شكيم وان يعقوب ارسل يوسف الى شكيم ليفتقد سلامة اخوته. ويقول السامريون ان يعقوب لما بلغه موت يوسف جاء الى شكيم واقام المناحة عليه فيها. وجامع الخضرة في حارة السمرة اسمه عندهم جامع حزن يعقوب لانهم يزعمون انه المكان الذي عمل فيه المناحة. ولا ذكر لشكيم بعد ذلك حتى رجوع بني اسرائيل من مصر فنجد انهم بعد افتتاحهم أريحا وعاي دخلوا رأساً الى قلب البلاد الى شكيم وهناك بنى يشوع مذبحاً للرب اله اسرائيل في جبل عيبال (وفي النسخة السامرية في جبل جرزيم) واصعدوا عليه محرقات للرب وذبحوا ذبائح سلامة وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها امام بني اسرائيل وجميع اسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاتهم وقفوا جانب التابوت من هنا ومن هناك مقابل الكهنة اللاويين حاملي تابوت عهد الرب الغريب كما الوطني نصفهم الى جهة جبل جرزيم ونصفهم الى جهة جبل عيبال كما أمر موسى عبد الرب اولاً لبركة شعب اسرائيل وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة (يشوع ٨ : ٣٠) وقد جرى ذلك كله قبل استيلاء بني اسرائيل على القسم الجنوبي من فلسطين. فاما انهم زحفوا رأساً الى شكيم بعد أخذ اريحا وعاي فشطروا البلاد شطرين واستولوا على الجنوب اولاً ثم على الشمال او ان يشوع سيّر جيشين احدهما الى شكيم الى قلب البلاد والآخر الى الجنوب الى حبرون واورشليم. ولعل حملة الشمال كانت مؤلفة من بني يوسف الذين كانوا حريصين على ان يستولوا على شكيم لانها اعطيت ليوسف هبة خاصة من يعقوب وحملة الجنوب من رجال يهوذا وبنيامين بقيادة كالب. اما مركز الجيش الاسرائيلي فكان الجلجال. ولا يُذكر ملك شكيم بين الملوك الذين غلبهم يشوع في ص ١٢ وانما ذكر ملك تفوح وملك ترصه فلعل شكيم لم تكن حصينة او لسبب ما رحبت بالفاتحين. والذي يزور نابلوس ويرى قرب الجبلين عند اسفلها عند القشلاق العسكري لا يرى صعوبة في الخبر الوارد في سفر يشوع عن وقوف ستة اسباط على الجبل الواحد والستة الآخرون على الآخر وتلاوة البركات واللعنات كما ورد في الخبر المذكور.

اما المذبح الذي بناه بنو اسرائيل عند دخولهم شكيم فالسامريون يدعون انه أقيم على جبل جرزيم على ما ورد في وصية موسى بحسب نسختهم ويقولون ان جرزيم جبل البركات اولى بالمذبح من جبل اللعنات ويتهمون اليهود بتحريف الآية ووضع عيبال بدلاً من جرزيم. ولا يعلم اين كان مكان المذبح هل على قمة الجبل فوق مقام الشيخ عماد الدين ام في مكان الصخرة المعروفة بالست سليمية. وقمة عيبال فوق عماد الدين محاطة بحد طبيعي فلعل المذبح اقيم هناك.على ان مقام الست سليمية اقرب الى جهات شكيم القديمة والى مدخل الوادي الشرقي وقد تكون اللفظة أثر من السلايم (اي ذبائح السلامة) حيث اقيم المذبح وقدمت الذبائح. وقد جعلت شكيم مدينة ملجأ لانها في قلب البلاد ولذلك كانت من مدن الكهنة وهي وان تكن واقعة في سبط يوسف الا انها بالذات لم تكن لهم بل للكهنة وهم من سبط لاوي اما حقول المدينة وضياعها فكانت لبني يوسف. وغير واضح هل كانت شكيم في حصة افرايم او حصة منسى لان الحد بين السبطين عسر تعيينه اذ ان تفوح والمكمتة وغيرهما من الحدود بين السبطين لم تعرف بالتأكيد ولعلها كانت على الحد بين السبطين. وهنا دفنت عظام يوسف ويظهر انه شاع تقليد قوي ان بقية الاسباط دفنوا في شكيم كما يظهر من كلام استفانوس (اع ٧:١٥) ومن كلام بعض المؤرخين المسيحيين لكن قد يكون هولاء بنوا كلامهم على كلام استفانوس.

وقرب وفاة يشوع دعا اسباط اسرائيل الى شكيم وخاطبهم خطابه الوداعي وقطع عهداً للشعب في ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم (يش ٢٤:٢٥) وأخذ حجراً كبيراً ونصبه تحت البلوطة التي عند مقدس الرب وجعله شاهداً عليهم. ويظن ان مكان الحجر هو مقام رجال العمود في اسفل جرزيم وان لفظة عمود اثرية تشير الى ذلك النصب. وان البلوطة المذكورة هنا هي بلوطة النصب التي عندها ملك اهل شكيم ابيمالك (قضاة ٩:٦) اما مقدس الرب فقد يكون المذبح الذي بناه ابرهيم او يعقوب ولا ريب ان بني اسرائيل احترموا ذلك المذبح ولعل البلوطة هي التي نصب ابرهيم خيمته تحتها.

وبعد ذلك تذكر شكيم في سفر القضاة بمناسبة فتنة ابيمالك بين جدعون وامه سرية من شكيم. وجدعون ابوه هو الذي خلص الاسرائليين من يد مديان. وخلاصة خبره انه جاء الى شكيم واتفق مع سكانها على ان يملكوه عليهم فقتل جميع اخوته وعددهم سبعون رجلاً ونجا منهم يوثام فصعد الى رأس جبل جرزيم وخاطب اهل شكيم وضرب لهم مثل الاشجار وسألهم رأيهم في قتلهم اخوته ونسيانهم المعروف الذي صنعه جدعون والده وختم كلامه بقوله فتخرج

نار من ابيمالك وتاكل اهل شكيم وسكان القلعة وتخرج نار من اهل شكيم وسكان القلعة وتاكل ابيمالك ثم هرب. ويُزعم ان يوثام خاطبهم من صخرة تسمى باسمه قريباً من رأس العين في مكان يسمى رأس المبرّد. وترأس ابيمالك ثلاث سنين وكان وكيله زبول ولكن اهل شكيم انتقضوا عليه عند مجيء جعل بن عابد (١) وافسد اهل شكيم عن ابيمالك فسمع ابيمالك وكان في ترمة وأتى الى شكيم وكمن مع جيشه في الحقل بعد ان قسمه اربع فرق ولما خرج اليه جُعل هجم عليه وهزمه وقتل كثيرين. وفي اليوم التالي خرج اهل شكيم فجعلهم ابيمالك بين فرقتين من جيشه فضربتا اهل شكيم ثم انقلب بجيشه على المدينة وحاربها وقتل كل من فيها وهدمها وزرعها ملحاً. وسمع كل اهل برج شكيم فدخلوا الى صرح بيت ايل بريث فصعد ابيمالك الى رأس جبل صلمون وقطع اغصاناً هو وجيشه ووضعوها على الصرح واحرقوه فمات جميع اهل برج شكيم نحو الف رجل وامرأة. وتتمة الخبر ان ابيمالك ذهب الى تاباص (طوباس) فحاصرها فطرحت امرأة رحى على رأس ابيمالك فشجت جمجمته فدعا غلامه وقال له اخترط سيفك واقتلني لئلا يقولوا قتلته امرأة فطعنه الغلام فمات. اما الصرح او قلعة شكيم فالارجح انه المدينة التي اكتشفت حديثاً قرب بلاطه وهي ذات سور متين وابواب. ويظهر ان شكيم وواديها كانا محميين من الشرق بقلعة شكيم ومن الغرب ببرج على رأس صوفار.

وبالنظر الى كون شكيم في قلب البلاد ومدفن يوسف وبسبب العهد الذي قطعه يشوع فيها صار لها اهمية خاصة في حياة بني اسرائيل القومية. لذلك نجد ان رحبعام بن سليمان ذهب اليها ليمسح ملكاً. وهنا حدثت الفتنة على رحبعام لانه لم يجب طلبة الشعب في ان يخفف نير ابيه وعبوديته القاسية بل قال للشعب ان خنصري اغلظ من متني ابي، ابي ادّبكم بالسياط وانا أودبكم بالعقارب. وقد اظهر رحبعام غاية الحمق وعدم الحكمة فان مجرد حضور امير من سبط يهوذا في وسط سبط يوسف كان وحده كافياً لايقاظ روح المنافسة بين السبطين. فسرت الفتنة باسرع من لمح البصر وصاح الشعب اي قسم لنا في داود ولا نصيب لنا في سبط يسى الى خيامك يا اسرائيل. وهكذا رجع رحبعام خاسراً ولم يتبعه سوى سبطي يهوذا وبنيامين اما بقية الاسباط فاتبعوا يربعام بن نباط.

وبعد ذلك نقرأ في (١ ملوك ١٢:٢٥) ان يربعام بنى شكيم وكان ابيمالك قد هدمها كما مر والارجح انه حصنها غير انه لا يظهر انه جعلها عاصمته لانه اقام في ترصة. ولعله لم يستطع ان

---

(١) هذا الاسم عربي وقد يكون احد مشايخ قبائل البدو التي كانت تقطن في غور المشارخة او غور الفارعة او غيرهما كما الآن.

يجعلها عاصمته لانها كانت للاويين فاختار ترصة عليها لانها حصينة على رأس جبل وشكيم في الوادي. ولا نقرأ عن شكيم بعد ذلك الا قليلاً فانها خسرت اهميتها بنوع خاص عند بناء عمري للسامرة التي كانت على رأس جبل. وظلت شكيم مدينة ملجأ ومسكن الكهنة. ولم يبق لها حتى ولا مقام ديني لان يربعام لكي يصرف بني اسرائيل عن هيكل اورشليم عمل عجلين من ذهب ووضع الواحد في دان والآخر في بيت ايل واكتسبت بيت ايل مقاماً دينياً استمدته علاوة على جهود يربعام من المذبح الذي اقامه ابرهيم والحلم الذي رآه فيها يعقوب والنذر الذي نذره ان يجعل المكان بيت الله اذا رجع سالماً بعد هربه من وجه اخيه عيسو ونعلم انه بعد مجيئه من فدان أرام بنى مذبحاً لله في بيت ايل. ويظهر ان حالة كهنة شكيم انحطت واخلاقهم فسدت فانا نقرأ في نبوة هوشع ٩:٦ «كما يكمن لصوص لانسان كذلك زمرة الكهنة في الطريق يقتلون نحو شكيم». وعند فتح ملوك اشور لفلسطين واستيلائهم على السامرة لا بد ان شكيم اشتركت مع السامرة في السبي والخراب.

٣ شكيم وضواحيها

ان نابلوس الحاضرة كما اشرنا سابقاً ليست في مكان شكيم القديمة بل هي واقعة الى غربي مكانها القديم وهي مبنية على سفح جبل جرزيم وفي القسم المحاذي له من الوادي. على انها على اثر الزلزال الذي حدث سنة ١٩٢٧ والذي دمر قسماً عظيماً من المدينة انتشرت على جبل عيبال والى الجهة الغربية. اما عدد سكانها فقد بلغ سنة ١٩٣٢ ١٧١٨٩ منهم ٥٣٣ مسيحيون و١٦٠ سامريون و١٦٤٨٣ مسلمون و١٣ يهود ودروز وقد كان يقطنها قبلاً يهود ولا يزال فيها سوق ومقبرة باسمهم ولكنهم غادروها وانقطعوا منها قبل نحو ٤٠ سنة. ونابلوس القديمة مبنية شرقاً بغرب طولها نحو ٢/٣ ميل ولها بوابتان رئيسيتان شرقية وغربية عدا بوابات اخرى.

ونابلوس تمتاز بكثرة ينابيعها ذات المياه العذبة ويقال ان فيها ٢٢ ينبوعاً. ومن الابنية القديمة المهمة فيها الجامع الكبير واصله كنيسة (باسيليكا) كبيرة بناها الامبراطور يوستنيانوس[١] (القرن السادس) بابها الشرقي يشبه باب كنيسة القبر المقدس وهو مؤلف من خمسة اقواس الواحد ضمن الآخر والقوس الخارجي مزين بنقوش على الطريقة الرومانية. اما الفناء الذي امام

(١) ورد في تاريخ الكنيسة الاورشليمية لخليل قزاقيا صفحة ٣٠ ان قسطنطين أنشأ كنائس كثيرة منها كنيسة في شكيم ولعلها غير هذه.

الجامع ففيه حوض محاط باعمدة قديمة . ومنها جامع النصر ويقال انه سمي كذلك لانه هنـــاك انتصر المسلمون على الصليبيين وهو كنيسة صليبية كجامع الخضره . اما الاخير فيزعم السامريون انه المكان الذي ناح فيه يعقوب على يوسف ابنه ويسمونه حزن يعقوب وفي مأذنته حجر عليه الوصايا العشر بالحرف السامري .

اما جامع المساكين فالارجح انه بناء صليبي بني ليكون مستشفى للفرسان الهيكليين وهناك جامع اولاد يعقوب حيث يقول التقليد انهم دفنوا وفيه بئر الانبياء نسبة اليهم بنـــاء على ذلك التقليد والبعض يقولون انه هو بئر يعقوب الذي جرى عليه الحديث بين السيد المسيح والمرأة السامرية . اما الجامع نفسه فحديث . وللسـامريين كنيس في حيّهم عليه بلاطة وتاريخ يفيد انه جُدد بناؤه سنة ١٧١١ وانه بني قبل ٣٢٠ سنة .

يعلو جبل جرزيم ٢٨٤٨ قدماً عن سطح البحر وفي قمته سهل منبسط وعلى الطرف الشمالي خرائب قلعة قديمة يظن انها بنيت في ايام يوستنيانوس والسور يتراوح سمكه بين ٥ و ١٠ اقدام . اما القلعة فهي مربع كبير والى الشمال الشرقي بجوار القلعة وليّ يعرف بالشيخ غانم وعلى الجانب الشمالي من القلعة حوض ماء كبير . وفي وسط ساحة القلعة آثار كنيسة لم يبقَ منها سوى الاساسات وكانت مثمنة الشكل محرابها الى الشرق اما مدخلها الرئيسي فمن الشمال وعلى جوانبها خمس كنائس صغيرة . اما الكنيسة فهي كنيسة العذراء التي بناها الامبراطور زينون على اساس هيكل روماني وهذا بني على انقاض الهيكل السامري الذي اخربه يوهنا هركانوس سنة ١٢٨ ق.م. والذي بناه سنبلط . وبقرب هذه الانقاض الاثنا عشر حجراً التي يقول التقليد السامري ان يشوع بن نون احضرها معه من الاردن ووضعها في ذلك المكان (سفر يشوع ص ٤) . اما هذه فيظهر انها بقايا طبقة عليا من دكة قديمة . وعلى مسافة ٢٤٠ قدماً الى جنوب الهيكل القديم ترى اقدس بقعة في نظر السامريين وهي دكة من الصخر الطبيعي مساحتها ٤٨ × ٣٦ قدماً . وفي الجهة الجنوبية شق لقبول دم الذبائح وفي الجهة الشمالية الغربية بئر ولعلها في الاصل كهف طبيعي حُول الى بئر . وهذا المكان عند السامريين هو الصخرة ويسمى الكهنة احياناً كهنة الصخرة نسبة اليه وهي عندهم قدس الاقداس وعليه (على رأيهم) قامت خيمة الاجتماع قديماً وافرادهم يخلعون نعالهم عند الدوس عليها . وفي جهة الجنوب الشرقي من قمة جرزيم بحسب التقليد مذبح ابرهيم الذي عليه اراد تقريب اسحق على قول السامريين وجرزيم عندهم هو جبل الموريا كما مرّ بك . وبعد الصخرة ٧ درجات نزلها آدم لما طُرد من الفردوس . وعلى جرزيم مذبح نوح ايضاً

الذي قدم عليه المحرقات بعد خروجه من الفلك . وبيت ايل التي بات فيها يعقوب فارًا الى حاران من وجه اخيه عيسو على جبل جرزيم ! ولوز القديمة التي دعيت بيت ايـل (تك ٣٥: ٦) هي خربة اللوزة على الجبل . ويحج السامريون ثلاث مرات الى جرزيم في السنة اي في عيد الفصح والخمسين والمظال ولـكنهم في عيد الفصح يقيمون على الجبل بين الثلاثة والاربعة اسابيع وعليه يذبحون الفصح الذي يصح ان يقال ان ذبيحته قد توالت ما يزيد عن الفي سنة . على انهم لا يذبحون الفصح على الصخرة بل في مكان آخر .

اما خراف الفصح فهي عادة سبعة وقبل الذبيحة تضرم النـــار في اتونين على الواحد حلة من الماء الساخن لاجل معط الذبيحة والآخر لاجل شواء اللحم . وعند اضرام النار تبتدىء خدمة العبادة وتستمر الى ان توضع الحملان في التنور . اما الخدمة فتقوم بقراءة فصول من سفر الخروج متعلقة بالفصح وترتيلات فصحية قديمة وهم يستقبلون الجنوب عند الصلاة وعند الغروب يذبحون الخرفان يذبحها الشبان وليس الـكهنة ثم تفتش الذبائح وتسحب عروق الفخذ (تك ٣٢: ٢٢) وتشك بالسفافيد وتشوى وتبقى بين الثلاث والاربع ساعات في الاتون وعندمـا ينضج اللحم تخرَج فتظهر الجماعة واحقـاؤهم ممنطقة وعصيهم في ايديهم على ما رُسم في سفر الخروج ويشرعون في صلوات قصيرة بعدها يُقبلون على قطع اللحم يا كلونها بسرعة ويرسلون نصيباً الى النساء والاولاد في الخيام .

وفي سفح جرزيم الجنوبي مقبرة فيها رجال العمود يقال ان فيها مدفوناً ٤٠ نبياً من انبياء بني اسرائيل وقد يكون هنا نصب ابيمالك (قضاة ٩: ٦) ويعتقد السامريون انه المكان الذي جمع فيه يشوع الشعب قبل وفاته وخاطبهم فيه وقطع لهم عهداً مع الله واقام هناك نصبــاً والى ذلك تشير التسمية برجال العمود . وقد خلط السائح موندرل بين هذا المقام وقبر يوسف ويظهر انه في ايامه (١٦٩٧) كان فريق من المسلمين يعتقدون انه قبر يوسف فدلوه عليه .

عيبال

عيبال يقابل جرزيم ويسمى بالجبل الشمالي بالنسبة اليه وهو اعلى منه وعلوه ٣٠٧٧ قدماً وعلى ظهره سهل فسيح وفي الجهة الشرقية خرائب تدعى قنيصة لعلها كانت قلعة سابقاً والمنظر من رأس الجبل فسيح متسع لانه يتناول حرمون والبلاد التي حوله شمالاً ويمتد شرقاً الى جبـــال جلعاد وموآب وجنوباً يتناول اعالي اليهودية وغرباً يرى البر والساحل من يافا الى الكرمل وحيفا فالمنظر يحيط بجميع فلسطين ويتجاوزها شمالاً وشرقاً . وعلى هذا الجبل عند دخول بني

اسرائيل ارض كنعان بنى يشوع «مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديداً واصعد عليها محرقات للرب وذبحوا ذبائح سلامة وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها امام بني اسرائيل وجميع اسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاتهم وقفوا بجانب التابوت من هنا ومن هناك مقابل الكهنة اللاويين حاملي تابوت عهد الرب . . نصفهم الى جهة جبل جرزيم ونصفهم الى جهة جبل عيبال كما امر موسى عبد الرب اولاً لبركة شعب اسرائيل وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب ما كتب في سفر التوراة» (يش ٨ : ٣٠ — ٣٥) . اما مكان المذبح فغير معلوم ولعله على القمة فوق مقام عماد الدين حيث القمة محاطة بحد طبيعي من الصخور وتحت القمة الولي عماد الدين وهو أحد قواد صلاح الدين وهناك قبره وفي حضيض الجبل مقام مجير الدين وهو قائد آخر لصلاح الدين وفوق مستشفى الحكومة صخرة تعرف بصخرة الست سليمية يقدسها اهل نابلس وينذرون لها ويضيئون زيتاً كما ان النصارى كانوا قديماً يحجون الى عماد الدين ولعلهم زعموا انه قبر يوحنا المعمدان . وفي الصخرة مغارة فيها نعش يقال ان الولية طار جثمانها فيه الى ذلك المكان من مصر وقد تكون الصخرة مكان مذبح يشوع والاسم يرجع الى ذبائح السلامة . والجبل مملوء بالكهوف المنحوتة في الصخر وكثير منها استعمل قبوراً وبعضها كانت صوامع للرهبان فيظهر انه كان مقبرة لاهل شكيم وقد يكون هو المكمتة من مادة كمت السامية وسمي بذلك لانهم كانوا يدفنون فيه والمكمتة حد بين سبط افرايم وسبط منسى مختلف على تعيينه (يش ١٦ : ٦ و ١٧ : ٧) ويقال فيه انه مقابل شكيم وزعم البعض انه مخنا وان مخنا تحريف مكمتة وهو بعيد وزعم بعضهم انها خربة كفريتا بين شكيم وتآنة شيلوه . ولم يُعثر في المغاور على كتابات او نقوش . ولا ريب انه كان مغروساً كروماً ولكنها قطعت وغرس عوضاً عنها شجر الصبير منعاً لصنع الخمرة .

وجبلا جرزيم وعيبال يقتربان في الجهة الشرقية قرب القشلاق العسكري ثم ينفرجان ويقتربان ثانية في الجهة الغربية عند ملتقى طريق العجلات . والارجح ان الاسرائيليين عند قراءة اللعنات والبركات وقفوا نواحي القشلاق وبلاطة . وعند ملتقى الجبلين في الجهة الغربية توجد تلة تدعى رأس صوفار ولعلها كانت برجاً او حصناً . وكأن وادي شكيم كان محمياً من الجهة الشرقية ببرج شكيم وهو الى الشمال من بلاطة (كما سيجيء) ومن الجهة الغربية برأس صوفار[1]

(١) أرجح ان عيبال سمي كذلك لضخامته (من العبل) ولا يبعد ان جرزيم كان عند دخول بني اسرائيل الى ارض كنعان مقدساً للكنعانيين فأمر الله ببناء المذبح على عيبال محواً لقداسة جرزيم الوثنية ومضادة للعبادة الكنعانية على ان اختلاط الاسرائيليين بالوثنيين واقتباسهم عوائدهم اعاد الى جرزيم اهميته الدينية . واما وضع اللعنات عليه فقيل لانه الجبل الشمالي والشمال مشؤوم غير ميمون ويرجح ان وضع اللعنات كان بمناسبة وضع المذبح لان اللعنة تذكر بالخطية وتستلزم المذبح للتكفير عنها .

بلوطة مورة

اما بلوطة مورة حيث نصب ابرهيم خيمته عند اول مجيئه الى ارض كنعان (تك ١٢) فمختلف في مكانها فالبعض يزعم انها مكان رجال العمود ولكن السامريين يعتقدون انها قرية بلاطة وهو رأي يوسيبيوس المؤرخ وايرونيموس .

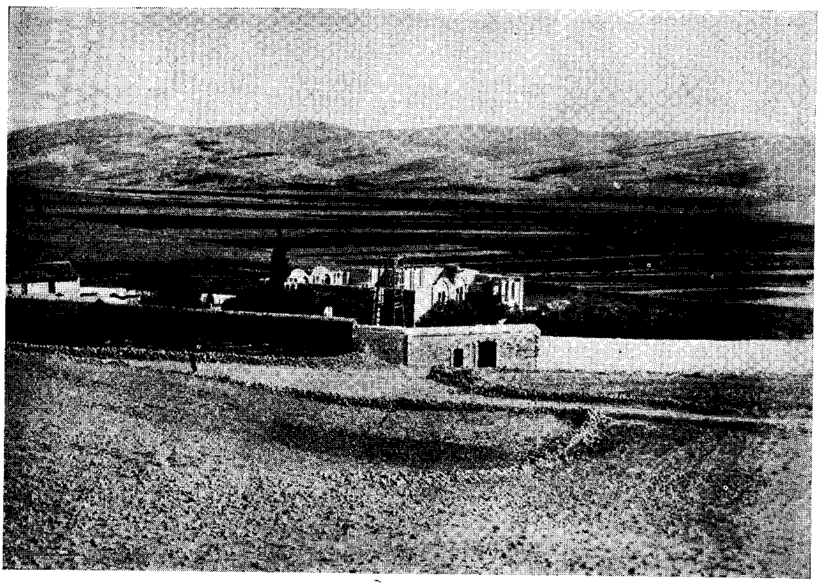
بئر يعقوب

من الاماكن المشهورة قرب نابلوس بئر يعقوب او بئر السامرية نسبة الى المرأة السامرية التي خاطبها السيد المسيح على البئر كما ورد في انجيل يوحنا ص ٤ . وسميت بئر يعقوب لان المرأة في حديثها مع السيد المسيح نسبتها اليه قائلة «ألعلك اعظم من ابينا يعقوب الذي اعطانا هذا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه» واهميته ليست في نسبته الى يعقوب بل في كونه مكان حديث السيد المسيح مع المرأة . ويوجد تقليد يرجع الى القسم الاول من القرن الرابع يتفق عليه المسيحيون واليهود والسامريون بان هذا هو بئر يعقوب . وقد مرّ بك في صفحة ٢١ ان المسيحيين استولوا في القرن الرابع على بئر يعقوب ولعل ذلك جرى عند مجيء القديسة هيلانة الى فلسطين وبنائها كنيسة القبر المقدس ويقال انها بنت كنيسة على بئر يعقوب ولكن ذلك غير محقق(١) . ان يوسيبيوس وحاجّ بوردو (سنة ٣٣٣ ب. م.) يذكران البئر بمناسبة سوخار وهي مكان يميزانه عن شكيم ونيابوليس (نابلوس) . وايرونيموس في سياحته مع السيدة پاولا (سنة ٤٠٤ ب. م.) يقول انه كانت كنيسة على القبر زارتها السيدة پاولا ولعل الكنيسة بنيت بين ٣٣٣ و ٤٠٤ . وقد زار البئر كل من انطونيوس الشهيد (سنة ٥٧٠) واركولفوس (٦٧٠) والقديس ويليبالد (٧٥٤) وذكروا الكنيسة والبئر . وهذا الاخير يقول ان الكنيسة كانت في شكل صليب وان البئر في الوسط . لكن سي ولف (Seawulf) سنة ١١٠٣ وفوقا سنة ١١٨٥ اللذان كتبا عن البئر لا يذكران الكنيسة فيظهر انها خربت قبل الحروب الصليبية ولكنها بنيت ثانية في القرن الثاني عشر على انها أخربت ثانية بعد واقعة حطين وظلت كومة من الردم الى

---

(١) جاء في تاريخ الكنيسة الاورشليمية لخليل ابراهيم قزاقية ص ٢٩ و ٣٠ ان الملك قسطنطين عدا الكنائس التي بنتها والدته بنى كنائس في بيت ساحور والخليل وبيت عنيا وجبل الزيتون والناصرة وطبريا وقانا الجليل وشكيم الخ .

وقد ورد في كتاب خلاصة تاريخ اورشليم الاورثوذكسية لشحادة الخوري ونقولا خوري صفحة ٢٩ و ٣٠ ان يوستنيانوس سنة ٥٢٧ بنى كنيسة على بئر السامرية وعلى جبل جرزيم وقد يكون المراد انه رمم الكنيسة على بئر السامرية



كنيسة بير يعقوب

اوائل القرن العشرين حين حفر رهبان الروم الاورثوذكس عن اساساتهـــا وشرعوا في اعادة بنائها ولـكن الظروف لم تمكنهم من سقفها واكمالها . اما الحجر الذي جلس عليه السيد المسيح فيقال انه أخذ الى القسطنطينية في عهد يوستنيانوس والبعض ينكرون ان هذه البئر بير يعقوب ويقولون انها بير الانبياء وان سوخار هي نابلس او حيّ منها ربما كان بجوار الخان المعروف بخان الزيبة ومن الاعتراضات انه اذا كان المرأة السامرية من عسكر (سوخار) فلا حاجة الى ورودها الى بئر يعقوب الحالي كما انه يوجد مياه كثيرة في عسكر بلاطة وحول شكيم لم تكن من حاجة الى ان يحفرها يعقوب وسنذكر ما قيل بشأن سوخار وشكيم . اما من جهة حفر يعقوب لها فقد اجيب انه فعل ذلك لـكي يحرز ماءها الضروري لمواشيه ضمن ارضه فيجتنب الخصومات مع الـكنعانيين من اهل المواشي .

شكيم (سيكم) وسوخار

اختلف المفسرون والمؤرخون على تعيين سوخار فذهب البعض الى انها شكيم نفسها وقال آخرون بل هي قرية عسكر .

اما نص البشير يوحنا فهو «فأتى الى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه» . فاذا كانت الضيعة هي شكيم كما يقرأ السامريون في نسختهم الاية في بركة يعقوب ليوسف «وانا وهبت لك شكيم فوق اخوتك» (تك ٤٨ : ٢٢) فلا تكون سوخار وشكيم مكاناً واحداً .

وقد زعم البعض ان سوخار او سيكار هي في اليونانية غلطة ناسخ لكلمة شكيم (سيكم) جُمهور المفسرين الآن على ان سوخار هي القراءة الصحيحة لا غلطة ناسخ كما زعم ايرونيموس وايبفانيوس . لـكن المسألة لا تزال هل سوخار هي شكيم ام هي مكان بقرب شكيم .

وزعم القائلون بان شكيم هي سوخار ان العداوة التي بين اليهود والسامريين حملت اليهود على تسمية شكيم بسوخار او سوكار اما من السكر او من مادة تفيد الـكذب . لـكن ليس من دليل على ذلك لا في يوسيفوس او الترجوم او التلموذ والسند الوحيد لهذا الرأي هو اش ٢٨ : ١ — ٥ (سكارى افرايم) وحبقوق ٢ : ١٨ «ومعلم الـكذب» (والعبراني مورّة شكر) وزعموا ان في الكلمتين تلميحاً الى مورة (وهو السهل بجانب شكيم ومنه بلوطة مورة) والى شكيم على ان هذا التفسير فيه تعسف وقد زعم العلامة ترنش انـــ مار يوحنا هو الذي اخترع هذه التسمية

ولكن هذا مستبعد وزعم آخرون ان حرف الميم والراء يتبادلان في اللفظ وان سوخار او سيكار هي لفظ اليونانيين لشكيم بابدال الميم راء (قابل لفظة بليعال ببليعار في الاصل ٢ كو ١٥:٦ واف ٢:٢) ويقول مار ايرونيموس ان سوخار وشكيم واحد ولكنه لا يقدم دليلا ويعزو التحريف الى غلطة ناسخ وقد تابعه في رأيه ايفانيوس والحجاج اركولف (سنة ٦٧٠) وثيودوريك (١١٧٢) وموندفيل (١٣٢٢) وغيرهم وفي العصور الحديثة روبنسف وستانلي وكورين وريتم.

على انه اكثر موافقة للعقول ان نجعل سوخار بقرب شكيم فان كاتب الانجيل الرابع كان عالماً بالعهد القديم الذي يعين مركز شكيم ولا يعقل انه يصف مدينة كشكيم مشهورة بتاريخها وملابساتها المقدسة بانها «مدينة من السامرة قرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه» ويستبعد ان الرسول يوحنا في بشارته يشير الى هذه المدينة بلقب. ان مار استفانوس في خطابه (اع ١٦:٧) يستعمل الصورة المستعملة في الترجمة السبعينية اي سِيكم وقد يتصور ان الرسول يستعمل هذه الصورة اي سِيكم اذا كان لم يقصد محلا آخر غير شكيم. والحقيقة ان سوخار (او سيكار) وشكيم متميزتان في كتابات الاقدمين. فان يوسيبيوس (في الاونوماستيكون) يقول ان سوخار كانت (قبل) اي شرقي نيابوليس (نابلوس) التي يميزها عن شكيم بان شكيم مكان في ضواحي نيابوليس بقرب قبر يوسف(١). وايرونيموس يترجم هذا الوصف دون تعليق. وكذلك حاج بوردو في سنة ٣٣٣ Bordeaux Pilgrim يميز بين نيابوليس وسيكم وسوخار ويعين موقع سوخار انها تبعد ميلا رومانياً عن سيكم. وكذلك تذكر سوخار كمكان ممتاز عن نيابوليس وشكيم في كتابات ابوت دانيال (سنة ١١٠٦) وفيتلس (١١٣٠) ويوحنا من ورتربرج (١١٦٠) ويظن ان هؤلاء الحجاج جميعاً يشيرون الى قرية عسكر. ومركز هذه القرية ينطبق اكثر على وصف البشير العرضي للمكان من شكيم المشهورة. وقد ذهب العلامة روبنسن بان العين في لفظة عسكر تنفي كل علاقة للمكان بسوخار لكن توجد اسماء فيها الالف العبرانية تبدلت عيناً مثال ذلك أشقلون وعسقلان. وفي التاريخ السامري الذي لا يمكن ان يكون احدث من القرن الرابع عشر يذكر اسم مدينة هي بحسب الظاهر قرب شكيم تدعى اسخار وفي الترجمة

(١) تفسير كلام يوسيبيوس ان شكيم قبل ان هدمها فاسبسيانوس نحو ٧٠ سنة كانت واقعة الى الشرق اي نواحي قرية بلاطة ولما اعاد بناءها فاسبسيانوس باسم نيابوليس بناها غربي شكيم القديمة في موقعها الحاضر اما سوخار على رأي اوسابيوس فهي الى شرقي شكيم القديمة

العبرية لهذا التاريخ يدعى المكان عسكر . فالتطور على اللفظة جرى من الاصل العبراني عن طريق اللفظ السامري الى العربية (كذا العلامة كوندر) ويذكر المشنا مكاناً اسمه سهل عين ُسكهَر ولعله سوخار والعلامة شوارتز يجعل عين ُسكهَر هي عين عسكر والسهل يجعله سهل عسكر . فترى انه توجد اسباب قوية للقول بان سوخار هي عسكر وقد أيد هذا الرأي كثيرون من الباحثين بينهم العلامة طومسون ووليمس (في قاموس الكتاب ِلسمث) وروَمر وايوالد وكوندر وسمث وكاسباري والقانون ترسترام . (انتهى ملخصاً عن قاموس الكتاب للعلامة هاستنكس)

بلاطة وآثارها

الى شمالي قرية بلاطة الواقعة في مدخل وادي شكيم الشرقي تل كان قبل الحرب يرى في جانبه حجارة كبيرة وسنة ١٩١٣ اتت بعثة أثرية يرأسها البروفسور سلين الالماني ومعه آخر من جامعة فينا للحفر في ذلك التل فكشفا عن مدينة صغيرة ذات سور وبوابة . ثم اوقف الحفر الى بعد الحرب وتجدد الحفر في السنوات الأخيرة واتسعت المساحة المحفورة . وقد اقتطفنا ما يلي من بعض كتب اثرية . ويظهر لنا ان هناك رأيين في هذه المدينة فقال البعض انها شكيم الكنعانية القديمة مدينة حمور ابي شكيم وقال غيرهم بل هي قلعة شكيم المذكورة في سفر القضاة .

اما اقدم اثر فيها فيرجع الى العصر النحاسي المتوسط (ولم توجد آثار قبل سنة ٢٠٠٠ ق.م.) وهذه المدينة كانت اصغر من التي من العصر النحاسي المتاخر فان هذه كانت أهم واكبر . وقد وُجدت تحت المدينة الاسرائيلية وتحت الكنعانية التي قبلها حصن من حصون الهكسوس اي الملوك الرعاة . وبعد ذلك بقليل ولعله نحو ١٦٠٠ ق.م. (مع ان التاريخ غير محقق) أحيطت المدينة بسور عظيم هو اهم مثال للبناء الكنعاني عرف في فلسطين . اقتضى ضخامةَ الحجارة (بعضها ٦ اقدام) ومتانة البناء سلامةُ المدينة الواقعة على مرتفع واطيء في الوادي . والبوابتان على الشمال الغربي وفي الجهة الشرقية من اعظم ما كشف من بقايا العصر القديم .

واهم ما وجد داخل المدينة هيكل من العصر الكنعاني المتاخر ضمن القلعة وهو على الارجح بيت بعل بريث المذكور في قصة ابيمالك في سفر القضاة ص ٨ — ٩ ولهذا البناء تاريخ مركب يتناول معظم العصر النحاسي المتاخر ويمتد الى العصر الحديدي . ويظهر انه خرب على يد ابيمالك ابن جدعون سنة ١١٠٠ ق.م.

وقد وُجد بعض القبور ضمن المدينة لان الحفر انحصر في الداخل . اما الادوات الصغيرة

التي وُجدت فاهمها مذابح اسرائيلية صغيرة للبخور ولوحان كنعانيان عليهما كتابة مسمارية الواحدة مقاولة على شغل والاخرى عليها مكتوب شخصي . وقد بدأ يثبت من الاكتشافات ان الخط المسماري كان كثير الاستعمال عند الكنعانيين سيما في المدن الكبيرة .

وقد وصل الفرعون سيسوستريس الثالث (١٨٨٧ — ١٨٤٩) الى شكيم في كسرته لخصمه منثين ستيت . واحتلها الهكسوس .

وكان يشق المدينة اقنية عظيمة وقاية من الحفر تحت البوابات . وقد حصنت البوابة الشمالية الشرقية بعتبات ضخمة عمقها ٢٠ قدماً .

وكان يتوصل بمطلع من البوابة الغربية الى القصر الذي بني على ردم من الحجارة عمقه ٢٥ قدماً . وكانت غرفة امامية في القصر تؤدي الى قاعة طولها ٣٣ قدماً في عرض ٢٠ سقفها مرتكز على عمود قائم على حجر مربع ويليها غرفة اصغر متصلة بقاعة ثانية مساحتها ٣٣ في ٣٠ قدماً فيها ١٠ اعمدة توصل الى فناء فيه درج يؤدي الى السور في الجهة الشمالية .

وقد ظل الكنعانيون موالين للصريين الى ايام امنحوتب الثالث وبعد ان كسرت قوة المصريين في الشمال جعل امراء كنعان يطلبون الاستقلال لكنهم لم يكادوا ينفكون من نير المصريين حتى داهمهم الخبيرو (العبرانيون) . ويظهر ان شكيم لم ياخذها العبرانيون حرباً بل سلمت بخيانة احد امراء الكنعانيين المسمى لابايا الذي تحالف مع العبرانيين على اخناتون ملك مصر .

اما السور القديم العظيم مع بوابته الشمالية الغربية والقصر الغربي فتدل الاثار انه دُمر ولعل العبرانيين دمروه (او هو من فعل ابيمالك كما مر) وقد بني ضمنه سور بحجارة اصغر منه وكانت المسافة بين السورين ١٢ قدماً مُلئت بالردم والحجارة ولعل ذلك من بناء يربعام وصارت البوابة الشرقية هي البوابة الرئيسية وهي من لِبنٍ على حجارة منحوتة مجنحة بابراج ووجدت قاعة واحدة عرضها ٥٣ قدماً . وقد بني قصر جديد شرقي البوابة الشمالية الغربية بحجارة اصغر مقصور بالكلس . وبعد البوابة ثلاث غرف صغيرة متصلة ثم قاعة كبرى مساحتها ٢٧ في ٢٥ قدماً تؤديان الى غرفتين غير منتظمتي الشكل الى الجهة الشرقية .

اما هيكل بعل بريث فقد طرأ عليه تغيير عن حاله الاصلي فاحيط بثلاثة اسوار ووسعت مساحته حتى وصل حده الى سور المدينة . وقد وجدت قاعدة من الحجارة الصغيرة ثم مذبح حجمه ٧ اقدام في ٥ والى الجنوب الشرقي من الهيكل على بعد ٨ اقدام منه كان الحجر

المقدس وهو من حجر ابيض ناعم مستدير عرضه ٥ اقدام وعمقه ١ ١/٢ قدم وعلوه ٦ على الاقل. وكان على كل من جانبي الهيكل عمود مقدس ناعم السطح مؤسس على قطع من الحجر الكلسي. اما الهيكل فكان عرضه ٧٠ قدماً وطوله ٩٠

وكانت هناك قاعة مساحتها ٢٣ × ١٧ قدماً على جانبيها نتوءان كبرجين يُدخل منها بباب الى غرفة الاله ومساحة هذه ٣٧ في ٤٥ قدماً . وكان صفان من الاعمدة الخشبية قائمة على قواعد حجرية تقسم المكان الى ثلاثة اجنحة وبين العمودين الوسطيين قام تمثال بعل بريث على قاعدة حجرية مدوّرة قطرها ١ ١/٢ قدم . وعلى قاعدة في نصف حجم الأولى الى الجانب الشمالي قام على الارجح تمثال زوجة الاله . وكان منخفض في الجهة الغربية قامت فيه السارية المقدسة .

وقد وجد في المدينة طبقة من العصر الفارسي وقطع خزفية عليها كتابة ارامية وختم عقيق عليه نقش ارامي .

وقد وجد بجانب قبر يوسف سكاكين نحاسية وسهام من شكل بابلي وسيف خشب اشوري الشكل .

عورتا

ومن مقادس السامريين قرية عورتا وهي واقعة على مسافة ٧ كيلومترات الى الجهة الشرقية الجنوبية من نابلس على اكمة ويرجح انها جبعة فينحاس المذكورة في سفر يشوع ٢٤:٢٣ حيث يقال «ومات العازار بن هرون فدفنوه في جبعة فينحاس ابنه التي أعطيت له في جبل افرايم» ومعنى جبعة اكمة ويقول السامريون ان اصل لفظة عورتا هو عمرتا لانها عمرت في زمن الكهنة العظام وفيها قبر العازار وابنه فينحاس وابيشوع بن فينحاس وقبر ايثامار اخي العازار وفيها كهف يقال انه مدفن السبعين شيخاً الذين كانوا في ايام موسى ويشوع . اما قبر العازار ويقال له العزير فضريح ضخم تظلله شجرة كبيرة ترى عن بعد ويحيط به ساحة مسيجة بسور . وبسبب قبور هؤلاء الكهنة اصبحت عورتا مقدسة عند السامريين على ان الحج عندهم لا يجب الا الى جرزيم ولكنهم يزورون عورتا عادة بين الفصح والعنصرة ويقيمون نحواً من اسبوع عند قبر العازار يرنمون الترانيم لذكرى العازار وسائر الكهنة ويذكرون جميع المدفونين في عورتا والكهنة بالدرجة الأولى واولهم العازار . وهم ينذرون النذور ويقدمون القرابين عند القبر ويجوز لهم ان يذبحوا الفصح شرعاً في عورتا لانهم يحسبونها ضمن حدود جرزيم وقد كانت مسكن كهنتهم الى سنة ١٠٣٥ هجرية على انهم تشتتوا من ذلك التاريخ فهجروا الى دمشق

وعسقلان وصرفند وغزه ولم يبقَ فيها سوى كاهن واحد مع عائلته فرحل الى نابلس وسكن في سفح جرزيم .

كفل حارس او كفر حارس

هي في رأي السامريين وغيرهم تمنة سارح (يش ١٩ :٥٠ وص ٢٤ :٣٠) او تمنة حارس (قضاة ٢ :٩) التي اعطيت ليشوع نصيباً له في جبل افرايم وفيها دفن . وقد زارها حجاج اليهود الربي يعقوب (سنة ١٢٥٨) وهب پارخي وغيرهما اعتقاداً انها مدينة يشوع . والقرية واقعة جنوبي نابلس على مسافة ٩ اميال عنها وفي شرقي القرية مقـــامان احدهما يعرف بالنبي كفل (ذي الكفل عند المسلمين) وهو يشوع والآخر بالنبي كُلدا او كُندا ولعله كالب . واذا صح ان هذه هي تمنة سارح فتكون لفظة تمنة قد سقطت مع الزمان على ان هنالك رأياً آخر في تمنة حارس فانها على رأي يوسيفوس المؤرخ مدفن يشوع وهي مدينة في جبل افرايم وهي نفس تمنة التي كانت عاصمة ناحية او مقاطعة مجاورة لمقاطعة اللد والتي اخضعها فاسبسيانوس قبل زحفه على لدة ويمنيا . وقد كانت تمنة (وهي اليوم تبنة) ذات اهمية لوقوعها على الطريق المؤدية من القدس الى انتيباتريس وقيصرية وقد استولى عليها كاسيوس (يوسيفوس قديمات ١٤ و ١١ :٢) واحتلها يوحنا الأسيني في بداءة حروب اليهود . ويقول يوسيبيوس وايرونيموس ان تمنة سارح مدينة يشوع حيث كان يُرى قبره كانت في الجبال في سبط دان . ويحسبانهـــا تمنة المذكورة في تك ٣٨ :١٢ حيث ذهب يهوذا ليجز غنمه ويجعلانها في سبط دان او يهوذا على حدود لدة وعلى الطريق من اللد الى القدس ويقولان ان قبر يشوع كان يُدَل عليه قرب تمنة الى شمالي جبل جاعش وهو جبل في سبط افرايم . وايرونيموس في سياحته مع السيدة پاولا أخذها الى تمنة سارح بعد مغـــادرة بيت ايل وقبل الوصول الى شيلوه فالمكان الذي يشير اليه يوسيبيوس وايرونيموس هو تبنة .

وعليه فهناك رأي في تمنة سارح او تمنة حارس غير رأي السامريين وهو انها تبنة القديمة ومركزها الذي يحرس الطريق الى قلب البلاد مركز لائق بالقائد والمحارب العظيم يشوع . وفي جنوب آثار تبنة اكمة على واجهتها الشمالية توجد طائفة من القبور المنحوتة في الصخر وتوجد بلوطة كبيرة فوق القبر ويدعى المكان شيخ التَيم وعلى بعد ٣ اميـــال نحو الشرق توجد قرية اسمها كفر شوع اي قرية يشوع . واكثر المحققين الحديثين على ان تبنة هذه هي تبنة حارس ومدينة يشوع .

(عن قاموس الكتاب للعلامة هاستنكس)

(٤) اعياد السامريين

يعيد السامريون الاعياد الثلاثه العظيمة وهي الفصح والخمسين او العنصرة والمظـــال. وهم يحجون فيها الى جبل جرزيم ويصلون عليه. ويفتخر السامريون بانهم لم ينقطعوا عن ذبيحة الفصح منذ دخول بني اسرائيل الى ارض كنعان وانهم اجروا تلك الفريضة دومـــاً على جبل جرزيم بعكس اليهود الذين انقطعوا عنها منذ زمن طويل وهم صادقون الى حد فيحق ان يقال انهم منذ القرن الرابع قبل المسيح مارسوا تلك الفريضة على جبلهم المقدس. وهم يصعدون اليه قبل ١٤ ابيب (نيسان) بنحو اسبوع بين مبكر ومؤخر ويصرفون ما ينيف عن اسبوع عـــلى الجبل في الخيام ويستعدون لذلك فيمتارون ذخيرة تكفيهم مدة اقامتهم.

ويختلف طقس السامريين في صلوات الفصح عن طقس اليهود فيقومون بجميع الفرائض المفروضة على بني اسرائيل في التوراة ولا تجوز صلاة السامري الا بعد الوضوء. وتمتاز صلاتهم في انها سجود وركوع مما لا يفعله اليهودي. ولا يستعمل السامريون المزامير التي يستعملهـــا اليهود ويقوم عندهم مقامها تسابيح وتراتيل من نظم علمائهم الاقدمين. ونظراً لضيـــاع النسل الكهنوتي عند اليهود لا يجوز لهم ان يقيموا الصلاة الجهورية الا اذا اجتمع عشرة على الاقل اما السامريون فيجوز لهم اقامتها بحضور واحد مع الكاهن.

وقبل الذبح يبدأون بالتهليل والتكبير طالبين من الله الغفران وقبول القربان ثم يتلون بالاختصار كل ما ورد في الاسفار الخمسة عن ابرهيم واسحق ويعقوب وبعد ذلك يرتلون ترتيلتين من نظم احد علمائهم الكبار المعروف بمارقه. ثم يقف رئيس الكهنة عـــلى مكان عالٍ ويقرأ البسملة من تث ٣٢:٣ — ٥ ويتلون بعدها الأمر بتقديم قربان الفصح (خروج ١٢:١ — ٧) وتكون الخراف قد أُعدت بحسب العيال ونفوسها وعند ذكر الذبح في الفصل المشار اليه يذبحها الجزار بجرة واحدة. ثم ينزل الكاهن الكبير فيمتحن الذبائح ليرى اذا كان الذبح صحيحاً. واذا وُجد شذوذ في احدى الذبائح تفصل وتحرق في مكان خاص لذلك بجانب المذبح وياتون باخرى عوضاً عنها. ويكون قبل ذلك قد سُخن الماء لاجل نتف الصوف فيلقون الماء الساخن عـــلى الذبائح وياخذون في النتف وفي اثناء العمل يقرأ الشعب من سفر الخروج ص ١٢:٧ — ص ١٥:٢١ ويتخلل القراءة بين الفصول ترانيم من نظم العلامة مَرقه.

ويهيئون تنوراً لشيّ الذبائح فيشكونها بسفافيد ويضعونهـــا في التنور ويغطونه حتى ينضج الشواء. وفي اثناء ذلك يصلون صلاة الغروب العادية وعند ما ينضج اللحم يخرجونه ويرنمون عليه

ترنيمة وجيزة ثم ياكلون على الطريقة المامور بها في سفر الخروج ١١:١٢ «احقاؤكم مشدودة واحذيتكم في ارجلكم وعصيكم في ايديكم وتاكلونه بعجلة» وياكلون معه الفطير والاعشاب المرة ولا يجوز اكل غير السامريين من اللحم اما الفطير والاعشاب فلا باس في اشتراك الغير في اكلها . واذا ذبحوا عند الغروب لا ينضج اللحم الا بعد ساعتين او ثلاث واحياناً يتاخر الأكل الى نحو نصف الليل ولا يقولون شيئاً من الصلوات اثناء الاكل وبعد الفراغ من الاكل يقف الكاهن الكبير ويشكر الرب ويدعو للجماعة بالتوفيق ثم ينصرفون الى مضاربهم .

اما تعيين عيد الفصح فللسامريين فيه حسابهم الخاص . فاليهود يعتمدون في تعيين العيد على رؤية القمر واما السامريون فيعولون على حساب يعتقدون ان آدم تلقنه عن الملائكة وهؤلاء اوصوه ان لا يعلمه احداً من دون اذن منهم . وظل الحساب محفوظاً في الصدور الى ان جاء فينحاس الكاهن بن العازار فوضعه على قاعدة فلكية ونظم فيه جداول محفوظة عند كهنة السامريين الى هذا اليوم ويقولون انه اعد هذا الحساب متخذاً جبل جرزيم نقطة يمر فيها خط الطول او الهاجرة . ومعرفة هذا الحساب من الشروط الاساسية والواجبات الدينية التي يجب ان تتوفر في الكاهن وهذا الحساب من قواعد الدين الاساسية . وقد بنى فينحاس الكاهن قواعد هذا الحساب بحسب قولهم على تكوين ١٤:١ ويعتمدون في حسابهم على توليد القمر وليس على رؤيته كما عند اليهود .

ولا يجوز عند السامريين تحويل العيد عن ميعاده اي ١٤ نيسان بخلاف اليهود الذين لا يعيدونه اذا كان ١٤ نيسان يوم الاثنين او الاربعاء او الجمعة كما انهم لا يعيدون العنصرة في يوم الثلاثاء والأحد والسبت اما السامريون فيعيدون في ١٤ نيسان مهما كان اليوم اما اذا وقع ١٤ نيسان في يوم السبت فيذبحون يوم الجمعة حالاً بعد زوال الظهر وياكلون عند الغروب وما يبقى من القربان يحتفظون به الى ليلة الأحد فيخرقونه حسب قول الكتاب . واذا وقع العيد يوم الجمعة يذبحون الخميس مساء حسب العادة . وقاعدتهم في معرفة الشهر الأول (اي نيسان) ان يقع توليد القمر من ١٢ اذار على الحساب الشرقي فما فوق فيبدأ شهر ابيب عندهم من توليد القمر وفي الرابع عشر منه يعيدون اما اذا وقع التوليد قبل ١٢ اذار فيعتبرون سنتهم ١٣ شهراً ويعيدون في ١٤ من الشهر الذي يلي .

(٥) ديانة السامريين

لا تختلف ديانة السامريين كثيراً عن الديانة اليهودية لا من حيث المعتقد ولا من حيث

الفرائض والرسوم وعقيدتهم الدينية تتلخص في الايمان (١) بان الله واحد (٢) بموسى المشترع الوحيد (٣) بالتوراة وهي عندهم الاسفار الخمسة فقط كالكتاب المنزل (٤) بجبل جرزيم كالمكان المقدس وبيت الله . ولا يعتقدون بغير الاسفار الخمسة ولا بانبياء آخرين عدا موسى وهم يعولون في كل رأي يقوله علماؤهم على سند من التوراة ولا يقبلون ما لا يمكن اثباته منها .

اما العقيدة بالله فهي انه روح في كل مكان سميع بصير عليم ولكنهم على ما يظهر يعتقدون بالملائكة المقربين كحاملي اسم الله وكوسطاء بينه وبين الخليقة . وطالما اتهم السمرة بانهم يعبدون الاله نرجل سراً في شكل حمامة وهي تهمة اصحاب التلمود وكثيراً ما كررت ولكن من دون سند كافٍ وهو محقق انهم اليوم براء من هذه التهمة الشنيعة . ويدعى الله باسماء يهوه وايل وشدّاي وادوناي وهم اذا قرأوا اسم يهوه لا يلفظونه وانما يبدلونه بلفظة « شيما » اي الاسم فيقولون مثلا « افشم شيما » اي باسم يهوه ويقولون ان اللفظ الحقيقي ليهوه مفقود .

ويؤمنون بمجيء الماسيا (المسيح) وايمانهم به مبني على الآية المشهورة في تث ١٨:١٨ « يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون » . ولكنه لا يسمونه المسيح بل « التايب » وهي لفظة سامرية بمعنى المهدي الذي يهدي الناس والاشرار الى الله . وهو ليس عندهم ملكاً وفاتحاً بل معلماً ومرشداً ومبيناً الشرع الحقيقي ومرجعاً اياه الى نقاوته وهو دون موسى ولكنه سيعلم جميع الامم الشريعة ويحملهم على اتباعهاوالعمل بها . اما النبوة الواردة في بركة يعقوب ليهوذا « لا يزول قضيب من يهوذا ولا مشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون » فيفسرونها عن سليمان الذي انتهى اليه الملك ولكنه كان شريراً اذ قيل في النبوة نفسها « رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة اتانه وغسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه مسودّ العينين من الخمر ومبيض الاسنان من اللبن تك ٤٩ : ١٠ » وهو كناية عن السكر والاستسلام الى الشهوات اما التايب او المهدي فسيكون حتماً من بني يوسف ومن سبط افرايم وذلك مستفاد من بركة يعقوب ليوسف في تك ٤٩ : ٢٥ « بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت . بركات الثديين والرحم بركات ابيك فاقت على بركات ابويّ الى منية الآكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير اخوته » . اما ظهوره فيكون بعد الخليقة بست آلاف سنة وسيقيم خيمة الاجتماع على جبل جرزيم ويرد الاواني المقدسة والمن ويعيش مئة سنة ويموت ويدفن في جبل جرزيم اما الدينونة العامة فتصير في نهاية الالف السابعة بعد الخليقة . واحكام الدينونة ثابتة دائمة على الابرار والاشرار — غير ان الذين مزجوا في حياتهم بين الخير والشر تكون لهم فرصة للتوبة .

اما من حيث الخلود والقيامة فان الكتبة الاقدمين زعموا انهم ما كانوا يعتقدون بهما ولا نعلم اكان ذلك صحيحاً ولكن السامريين تأثروا فيما بعد بعقائد الفرس والمسيحيين ام ان ما عزي اليهم من الانكار كان محض افتراء. اما الآن فانهم يؤمنون بخلود النفس والقيامة. ويستشهدون على الخلود بقول الله لموسى في خروج ٣ : ٦ «انا اله ابيك اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب» كما استشهد بها السيد المسيح ويستشهدون على القيامة بقول الكتاب «واطلب انا دمكم لانفسكم فقط. من يد كل حيوان اطلبه. ومن يد الانسان اطلب نفس الانسان» تك ٩ : ٥ وايضاً بالقول في تث ٣٢ : ٩ «انا أميت واحيي. سحقت واني اشفي وليس من يدي مخلص»

ودار الآخرة قسمان مسكن الله والصديقين ومسكن الشيطان والاشرار ومكان العذاب تحت الارض.

وغفران الخطايا يقوم بالتوبة والصلاة. اما الذبائح فلا يقدمونها لانهم يقولون انها لم تعد تجب بعد رفع المسكن «لانه اذا أخذ وهب أسقط ما أوجب».

ولكن الانبياء لهم شفاعة سيما موسى الذين يتشفعون به الى الله.

وقد نشأت فيما بينهم قديماً بدع منها بدعة دوستيوس وكان الدوستيون يقولون بازلية المادة اخذاً عن فلاسفة اليونان ومنهم الاسينيون وهم المتقشفون ولهم صلة بالفيثاغوريين الجدد ومنهم الصوبيون والغورثيون ولم يبق أثر لهذه البدع اليوم.

ويظهر انه بعد خراب اورشليم واقبال اليهود على درس الشريعة تحسنت العلاقات بينهم وبين السامريين سيما ان السامريين اشتركوا في ثورة اليهود تحت قيادة باركوكيبا في ايام ادريانوس ولذلك فبعض رباني اليهود الاعلام كالربي عقيبا والربي سيمون ابن غمالائيل حسبوهم شركاء في الدين واعتبروا ارضهم طاهرة. على ان هذا الموقف تغير في القرن الثالث بعد المسيح ففي ايام ديوكلتيانوس (٢٨٤ — ٣٠٥ م) ذهب الربي أياها الى انه يجب معاملتهم معاملة الوثنيين.

والسامريون عادةً لا يعددون الزوجات الا اذا كانت الزوجة عاقراً وفي مسالة زواج الرجل لارملة اخيه الذي مات بلا ابن كما في تث ٢٥ : ٥ يفهمون بلفظة «الأخ» الصديق وليس الأخ الحقيقي والآية هي «اذا سكن اخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت الى خارج لرجل اجنبي. اخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج». والوصية لا تسري على رجل توفي عن ارملتين الا اذا كانت الأولى عاقراً والثانية ليس لها نسل. ويوجد خلافات أخرى لا محل لذكرها.

والرتب الدينية عندهم رتبة الكاهن والحزان اما الحزان فيقوم بتلاوة الصلوات في الكنيس وخارجه وعليه تعليم الشعب والاولاد . والكاهن الاعظم وظيفته الرئيسية القيام بما فرض على الكهنة في شريعة موسى لكن لما لم تكن عندهم ذبائح اليوم فوظيفته تقوم بتلاوة صلوات خصوصية واعطاء البركة .

والكاهن الأعظم والحزان يؤلفان المجلس الديني او بيت الدين والاثنان يحكمان في المسائل العادية واذا عرضت مسالة مهمة يدعى آخرون من الكهنة للنظر فيها .

التوراة السامرية

التوراة السامرية هي اسفار موسى الخمسة فقط كما قدمنا لان السامريين لا يعتقدون بنبي غير موسى ولا بكتاب غير اسفاره ولا بد لنا من اطلاع القارىء على شيء من امر هذه التوراة التي اشتهرت في العالم الديني واقبل علماء اوربا ولاهوتيوها على درسها ومقابلتها بالتوراة العبرانية فنقول :

ضعف السامريون وقلوا بعد الفتح الاسلامي والحروب الصليبية حتى اصبحوا يعدون بالمئات فقط يسكنون دمشق وغزة ونابلوس والقاهرة وقد كاد يُنسى امرهم عند العالم الغربي لولا اشارات وردت في كتب سياح الغرب في القرن السابع عشر فما بعد وفي مذكرات سائحين او ثلاثة قبل ذلك . وساد الظن انهم الاسباط العشرة المفقودة وانهم في ديار نائية في بلاد الشرق . واول من كتب عنهم مفصلاً كتابة يوثق بها هو العلامة جوزف سكاليجر في القرن السابع عشر وذلك على اثر حصوله على روزنامتين سامريتين للاعياد وعلى نسخة من سفر يشوع السامري سنة ١٨٥٣ من القاهرة . وكان هذا العلامة شديد الرغبة في الحصول على نسخة من توراتهم ولكنه لم يفز بامنيته غير انه كوفىء على بحثه وتعبه بحصوله على رسالتين بعث باحداهما رجل سامري من غزة وبالثانية آخر من القاهرة وظلت هاتان الرسالتان مدة ٢٥٠ سنة عماد الباحثين في المعلومات عن شان السامريين . واول من حصل على نسخة من التوراة السامرية كان السائح بياترو دي لافال بايعاز وتفويض من السفير الفرنساوي في القسطنطينية اشيل هارلاي دي سانسي فجاء السائح المذكور في سنة ١٦١٦ مصر وسوريا وزار جماعات السامريين في القاهرة وغزة ونابلوس ودمشق وابتاع نسختين من التوراة السامرية ونسخة من الترجوم السامري وغير ذلك من كتب السمرة . واثار هذا الاكتشاف في اوربا عاصفة من البحث والجدل وزاد نار الخلاف بين البروتستانت والكاثوليك بشأن متني التوراتين العبرانية والسامرية وسلطة الكنيسة في تعيين اسفارها القانونية

وانحاز الكاثوليك اجمالاً الى تفضيل النسخة السامرية ودافع البروتستانت عن النسخة العبرانية اي التوراة اليهودية وطل الجدال الى ان قام العلامة جيسنيوس وبحث في الموضوع من غير تغرض او تحزب وقد حول الخلافات المهمة الى اربعة .

وقبل ان نصف توراة السامريين نذكر تتمة للعلاقات بين السامريين والاوروبيين التي نشأت بواسطة الرسائل التي ارسلت الى العلامة سكاليجر وبا كتشاف التوراة السامرية . ففي نهاية القرن السابع عشر زار السامريين في نابلس كل من السياح هنتنكدن وهنري موندرل وموريس . واشهر هؤلاء هنتنكدن فانه كان اولاً قساً في معمل انكليزي في حلب (وصار فيما بعد اسقف ابرشية رافو في ارلاندا) . ولما جاء نابلس دهش السامريون لاهتمامه لامرهم ومعرفته كتابتهم وخطهم وتوهموا ان الاسرائيليين في انكلترا الذين كان القس يتكلم عنهم اخوتهم وجعل السمرة يكاتبون اخوانهم المزعومين في انكلترا ورسائلهم اليهم لا تزال محفوظة . وجرت مراسلات ايضاً بينهم وبين العلامة ايوب رودلف في امستردام واخيراً بينهم وبين العلامة الفرنسوي دي ساسي . وقد اودع السامريون في هذه الرسائل خلاصة معتقداتهم وصلواتهم وفرائضهم واعيادهم مما لا يزال معولاً عليه عند العلماء . على انه بعد ذلك زار كثيرون من السياح نابلس واقاموا فيها وزاروا السامريين بانفسهم واطلعوا على كتبهم وآثارهم ودرسوا احوالهم وطريقة معيشتهم وعبادتهم وكتبوا في ذلك كتابات قيمة . وقد تسرب الى مكاتب الغرب ومتاحفها نسخ كثيرة قديمة ومؤلفات سامرية محفوظة في اوربا ولعلها اكثر واندر مما عند السامريين انفسهم واشهر مجموعة لهذه الآثار في المتحف البريطاني ومنها آثار في مكتبة بطرسبرج وفي مكتبة بودلين باكسفرد وفي مكاتب كامبردج وليدن وباريس وبرلين وكوتا عدا ما عند الافراد من تلك الآثار . وقد شغل البحث في مخلفات السامريين المخطوطة نفراً من اعاظم المستشرقين في القرن السابع عشر وبعده بينهم جيسينيوس وجونيبل وكيون نولديكي وجيجر وكوهن ونيوباور وهيدنهيم وكلارمونت كانو وكولي وغيرهم .

والتوراة السامرية هي اليهودية نفسها لكنها تفترق عنها في بعض القراءات كما تختلف عنها في الحرف . فاليهودية مكتوبة بالحرف المربع واما السامرية فبحرف قديم يشابه الحرف الفينيقي والحرف المكتوب به الحجر الموآبي . ويحتج السامريون على صحة توراتهم وقدمها بانها مكتوبة بهذا الحرف الذي هو اقدم من الحرف المربع . فالحروف واحدة ولكن اشكالها مختلفة ومثال ذلك ان الحرف التركي الجديد والحرف التركي القديم (العربي) مختلفان ولكن اللغة واحدة .

اما ان الحرف السامري اقدم من الحرف العبراني فامر مسلم به من اليهود انفسهم ويسمونه العبري اما التغيير منه الى الثاني فلا يعلم كيف تم. وقد ورد في التلمود سندهدريم ٢١ ب ان احد رباني اليهود قال ان الشريعة أعطيت اولاً لاسرائيل بالحرف العبري وباللسان المقدس. واعطيت لهم ثانياً في ايام عزرا بالحرف الاشوري واللسان الآرامي فاختار اسرائيل الحرف الاشوري واللسان المقدس وتركوا للحمق، الحرف العبراني واللسان الارامي. ومن هم الحمق؟ قال الرباني حسدا (نحو ٣٠٠ ب م) هم الكوتيم (اي السامريون) وما الحرف العبري؟ اجاب الربي حسدا هو الحرف لبونا (اي السامري) ». ولا يعلم المراد بلفظة «لبونا»، وزعم البعض انه اللبناني اي الفينيقي وغيرهم انه نسبة الى لبونه (الآن اللُّبن) وقيل ان القراءة في التلمود مغلوطة وان القراءة الصحيحة هي الخط النابلوسي.

والتوراة السامرية محفوظة عند السامريين في خزانة حديدية في الكنيس في صندوق فضي مذهب ولقدمها قد رُقعت في اماكن كثيرة وهي مكتوبة على رقّ ويدعي السامريون انها من خط ايشوع بن فينحاس بن هرون الكاهن. وفي آخر الدرج تاريخ يسميه السامريون تشقيلاً وهو ان يدمج الكاتب تاريخ كتابته للسفر في الهامش وذلك بان يفرز على الهامش من السطور الحروف الاولى التي اذا جمعت تؤلف الجملة المطلوبة للتاريخ. وقد ورد في الهامش ما معناه انا ايشوع بن فينحاس العازار بن هرون كتبت الكتاب المقدس في باب الخيمة على جبل جرزيم في السنة الثالثة عشر من حكم الاسرائيليين لارض كنعان في تخومها دائراً. انا اعترف بيهوه. اختلف العلماء في تعيين هذا الاثر القديم ولكنهم لا يستطيعون ذلك لعدم تمكنهم من الحصول عليه وقد سألنا المرحوم العلامة جرجي زيدان رأيه في تاريخ التوراة فقال انه لا يمكن التسليم بالتاريخ الذي يدعيه السامريون لها وذلك لسببين اولاً لان الحرف المكتوب به هذه التوراة لا يمكن ان يكون قد وصل الدرجة الحاضرة من حيث الشكل والاتقان في التاريخ الذي يُزعَم انها كتبت فيه وثانياً لانه يستحيل بقاء الرق مدة تزيد على ثلاثة الاف سنة والمجمع عليه عند العلماء انها لا يمكن ان تكون قبل العصر المسيحي. ولا عبرة بالتاريخ وطريقة تسجيله اذ لا يمتنع ان النساخ الذين نسخوا عن النسخة القديمة جروا على الطريقة نفسها ونسخوا التاريخ نفسه. وقد حاول الاروبيون ان يبتاعوها من السامريين فرفضوا ذلك كما ان كثيرين حاولوا سرقتها.

والتوراة درج من الرق. ويعوز جميع الكتابة السامرية الحركات التي يستعملها اليهود في توراتهم سوى علامتين احداهما تستعمل للفصل بين كلمة وكلمة والثانية نقطتان الواحدة فوق الاخرى للفصل بين السوَر او القطع وعدد القطع عندهم ٩٦٦ وعند اليهود بين مغلق ومفتوح ٦٦٩.

اما الخلافات بين النسختين فتقسم الى اختلافات في اللغة واختلافات في المتن . اما الاولى فلا فائدة من شرحها اذ لايفهمها الا العارفين بالعبرانية ويقال اجمالاً ان السامرية يستعمل فيها حروف العلة اكثر مما في العبرانية وتهجئة بعض الكلمات في السامرية احدث من التهجئة من العبرانية كما انه قد تأثر بعضها بالارامية . ولا بد من الاشارة في هذه القرينة الى ان السامريين قد فقدوا لفظ الحروف الحلقية كالعين والحاء والهاء فيلينونها في اللفظ خلافاً لليهود والذين يحافظون على التلفظ بها .

اما الخلافات المتنية فهي (١) عبارات وفصول لا توجد في النسخة العبرانية وهي متعلقة بما أمر به موسى ان يفعله وانه فعله كما امر وهذه العبارات او الفصول مسبوقة بالقول بان الله أمر موسى متبوعة بالتصريح ان موسى فعل مع تكرار ما أمر ان يفعله ففعله . مثال ذلك خروج ٦:٩ (قابله بخروج ١٤ : ١٢) و٧ : ٨ (مع الايات ١٦ — ١٨) و٧ : ٢٩ (مع ٢٦ — ٢٨) و٨ : ١٦ (مع ١٦ — ١٩) و٩ : ٥ و١٩ و١٠ : ٢ و١١ : ٣ (مع ٤ : ٢٢) و١٨ : ٢٥ مع (قت ١ : ٩ — ١٨) و٢٠:١٧ (مع تث ٢٧ : ٢ و٥ — ٧) و٢٠ : ٢١ (مع تث ٢٥ : ٢٦ — ٢٨ و١٨:١٨ — ٢٢ و٥ : ٢٧) و٣٩ : ٢١ ووسفر العدد ٤ : ١٤ و١٠ : ١٠ و١٢ : ١٦ و١٣ : ٣٣ و٢٠ : ١٣ و٢١ : ١١ و٢٠ و٢٧ :٢٣ و٣١ : ٢٠ وتث ٢ : ٧ و٥ : ١٨ و١٠ : ٧

(٢) خلافات تتعلق باعتبارات دينية او ما يشابهها . ومن هذه تك ٢ : ٢ « وفرغ الله في اليوم السابع من اعماله ، وفي السامرية في اليوم السادس وخروج ١٢ : ٤ حيث يقال ,واما اقامة بني اسرائيل التي اقاموها في مصر فكانت اربع مئة وثلاثين سنة،. على ان العدد ظهر كثيراً فنجد في السامرية بعد «اقاموها في مصر» العبارة «وفي ارض كنعان». ومن هذا القبيل القول في خروج ٢٤:١١ ان شيوخ بني اسرائيل رأوا الله ففي السامرية انهم انحازوا الى الله احتراساً من النتيجة ان الله منظور . وفي سفر العدد ٢٢ : ٢٠ و٢٣ : ٤ في حديث بلعام عوضاً عن القول «فأتي الله الى بلعام» «واتى الله بلعام» في السامرية «أتى ملاك الله» «واتى ملاك الله» وفي تك ٤٨:١٦ في بركة يعقوب لافرايم ومنسى « الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك العلامين » في السامرية أبدلت لفظة الملاك الى الملك حرصاً على نسبة الخلاص الى الملك اي الله لا الى الملاك . وكذا في عدد ٢٥ : ٤ عوضاً عن قول الرب لموسى « خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس » ورد في النسخة السامرية « مُر ان يذبحوا جميع الذين تعلقوا ببعل فقور » هرباً من نسبة الظلم الى الله . ومن هذا القبيل ابدال لفظة رجل الحرب في خر ١٥ : ٣ ببطل الحرب عن الله في نشيد موسى . اما اهم اختلاف فهو ابدال لفظة عيبال بجرزيم في الامر ببناء المذبح في تث ٢٧ : ٤

حيث يأمر موسى بني اسرائيل « حين تعبرون الاردن تقيمون هذه الحجارة التي انا اوصيكم بها اليوم في جبل عيبال وتكلسها بالكلس وتبني هناك مذبحاً للرب الهك وتصعد عليه محرقات للرب الهك » . وقد سبقنا واشرنا الى انه في سفر الخروج ص ٢٠ بعد الآية ١٧ توجد وصية بمعنى الوصية في تث ٢٧ : ٤ و٥ و٦ .

ومن الأمور التي لفتت نظر العلماء ان الترجمة السبعينية للتوراة العبرانية (وهي باليونانية) احياناً تتفق مع النسخة السامرية ضد العبرانية مثال ذلك في تك ٢:٢ حيث يقال في العبرانية « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله » فان السبعينية تتفق مع السامرية في القول « وفرغ الله في اليوم السادس » وكذا في تك ٤:٨ « وكلم قايين اخاه » تزيد السبعينية مع السامرية « لنذهب الى الحقل » وكذا في خروج ١٢:٤٠ تتفقـــان في ان الاربع مئة والثلاثين سنة هي مدة اقامة بني اسرائيل في كنعان وارض مصر وتتفقان في بعض قراءات أخرى غير مهمة .

على ان السبعينية تختلف ايضاً عن السامرية في اصطلاحات لغوية متعلقة باداة التعريف وفي اعمار الآباء في تك ص ٥ و ص ١١ وغير ذلك .

ومن المباحث العويصة الغامضة كيف حصل السامريون على الاسفار الخمسة وكيف تسرب الخلاف الى نسختهم من جهة جبل جرزيم وعيبال . والقائلون بان السامريين حصلوا على الاسفار الخمسة من اليهود بعد السبي عند رجوع عزرا ينسبون منع اليهود للسامريين من الاشتراك في بناء هيكل اورشليم الى انهم لم تكن عندهم التوراة . واما تغيير عيبال بجرزيم في نسختهم فينسب الى ذلك التاريخ عند نشوء العداوة بين الفريقين واصهار الكاهن منسى الى سنبلط والله اعلم .

وللتوراة السامرية ترجوم ارامي كما للتوراة العبرانية فان الأرامية اصبحت بعد السبي البابلي لغة اهل فلسطين فاضطر السامريون الى وضع ترجوم يفهمه العامة . وعلى رأي السامريين ذلك الترجوم يرجع الى القرن الأول المسيحي وينسبونه الى كاهن يسمى نثنـــائيل على ان المحققين ينسبونه الى القرن الثاني . واول ما نشر هذا الترجوم في طبعة باريس لترجمات التوراة سنة ١٦٤٥ ثم في طبعة لندن لتلك الترجمات سنة ١٦٥٧ ثم نُقل شكل الخط الى الحرف المربع وطبع به سنة ١٨٧٢ — ٩١

وبعد الفتح الاسلامي كثر استعمال اللغة العربية بين السامريين فترجم ابو سعيد التوراة السامرية الى العربية في القرن الحادي عشر . وكما ان للتوراة ترجوماً لها شروح ايضاً اقدمهـــا كتب سنة ١٠٥٣ واقدم نسخة منه محفوظة في مكتبة بودلين في اكسفورد ويوجد تفسير آخر

قيّم محفوظ في برلين كما ان بين ايدي السمرة شروحاً للاسفار كلها او بعضها وهي كلها محفوظة .
وعند السامريين ترانيم وصلوات بعضها بالعبرانية وكثير منها بالارامية وكتب لاهوتية وجدلية مما يدل على نشاطهم اللغوي الديني وقد اشرنا فيما سبق الى كتبهم التاريخية .

ملحق (١)

فصل من رحلة القس هنري موندرل من حلب الى القدس في فصح ١٦٩٧ . الاربعاء في ٢٤ اذار

قال الكاتب . بعد ان دفعنا الغفارة رحلنا باكراً جداً في صباح الغد . وبعد ان تركنا عرّابه ورامه (وهما قريتان جبليتان) على اليمين وصلنا بعد ساعة الى نبع جميل يدعى السيلة على اسم الضيعة المجاورة . وبعد ساعة اتينا الى سبسطه . وهنا نتجاوز حد نصف سبط منسى وندخل في حدود سبط افرايم . اما سبسطه فهي السامرة قديماً عاصمة الاسباط العشرة بعد عصيانهم على بيت داود . وقد خسرت اسمها القديم في ايام هيرودس الكبير الذي نهض بها من حالة الخراب الى المجد والبهاء ودعاها سبسطه اكراماً لاوغسطوس قيصر . وهي واقعة على جبل بيضي الشكل ذات حقول مخصبة يحيط بها سلسلة من التلال وهذه تحولت الآن الى جنائن . وكل الآثار الباقية لتشهد بوجود هذه المدينة انما هي فسحات كبيرة مربعة محاطة بالاعمدة على الشمال وبعض آثار حقيرة لكنيسة قديمة يقال انها من بناء القديسة هيلانه فوق المكان الذي سُجن فيه يوحنا المعمدان وقُطع رأسه . ومن صحن الكنيسة تنحدر على سلم حجري الى سرداب حيث سُفك الدم المقدس . والاتراك[١] (الذين يوجد منهم بضع عائلات فقيرة) يحترمون هذا السجن احتراماً عظيماً وقد بنوا فوقه جامعاً صغيراً . واذا دفعت قليلاً من النقود يسمحون لك ان تدخل وتشبع ما فيك من حب الاستطلاع .

وبعد ان تركنا سبسطه مررنا بعد نصف ساعة بشراك (Sherack ?) وبعد نصف ساعة آخر مررنا بقرية برسيبا (Barseba ?) وهما واقعتان على اليمين . وبعد ان دخلنا في وادٍ ضيق ممتد شرقاً بغرب يسقيه نهير جميل وصلنا نابلس في ساعة من الزمان .

اما نابلوس فهي شكيم القديمة او سوخار كما تدعى في العهد الجديد وهي واقعة في وادٍ

---

(١) اي المسلمون

ضيق بين جرزيم جنوباً وعيبال شمالاً ومبنية على سفح الجبل الأول . وهكذا وُصف موقع المدينة والجبل في يوسيفوس (قديمات كتاب ٥ فصل ٩) وهو يقول ان جرزيم منتصب فوق شكيم . وقد اوصى موسى باقامة مذبح بين جبل جرزيم على جهة اليمين (اي وانت ناظر الى الشرق) اي الجنوب وعيبال على الشمال . وهذا يعين واضحاً موقع هذين الجبلين حتى انه ليُستغرب كيف اختلف عليه الجغرافيون بقدر ما اختلفوا ولماذا جعلهما ادريخوميوس على جانب واحد من وادي شكيم . ومن جبل جرزيم امر الله ان تُقرأ البركات على بني اسرائيل ومن عيبال اللعنات تث ١١ : ٢٩ . وعلى الأول يوجد للسامريين الذين مسكنهم الرئيسي شكيم هيكل صغير او معبد (١) يحجون اليه في فصول معينة لاجراء طقوسهم الدينية . اما هذه الطقوس فلم استطع ان اعرف ماهيتها . لكن القول بان ديانتهم قائمة بعبادة العجل كما يزعم اليهود فيظهر ان فيه من الشماتة اكثر من الحقيقة .

وعلى احد هذين الجبلين ايضاً أمر الله بني اسرائيل ان ينصبوا حجارة عظيمة مشيدة بالكلس ومكتوباً عليها كلمات الشريعة وان يبنوا مذبحاً ويقدموا ذبائح ويعيدوا ويفرحوا امام الرب تث ٢٧ : ٤ . لكن أجرزيم ام عيبال هو المكان الذي عُين لاجل هذه الحفلة فمسألة فيها نظر فان الاسفار الخمسة اليهودية واسفارنا التي هي ماخوذة عنها تعين عيبال لهذه الأمور . اما السامريون فيثبتون انه جرزيم .

واذ نزلت جماعتي قليلاً في نابلس صار لي فرصة لاذهب وازور رئيس كهنة السامريين واتحدث اليه عن هذه الصعوبة وغيرها من الصعوبات في الاسفار الخمسة مما طلب الي ان أسأل عنها العلامة المنسنيور جوب لودلفوس مؤلف تاريخ الحبشة لما زرته في فرانكفورت في سياحتي بالمانيا .

اما الاختلاف بين النسخة اليهودية والنسخة السامرية على تث ٢٧ : ٤ المقتبسة سابقاً فان الكاهن ادعى فيه ان اليهود قد حرفوا متن نسختهم كرهاً بالسامريين واضعين عيبال بدلاً من جرزيم لا لسبب سوى ان السامريين يعبدون على الجبل الأول الذي من اجل ذلك لا يريدون ان يكون المحل المعين من الله للعبادة والذبيحة . ولكي يثبت ذلك احتج بان عيبال كان جبل اللعنة (تث ١١ : ٢٩) وانه بطبيعته غير مرضي وبعكسه جرزيم فانه جبل البركة بتعيين الله وهو في نفسه خصب بهج ومن هذا استنتج ارجحية ان يكون جرزيم هو الجبل الصحيح المعين لاجل

(١) لعل السائح حسب مقام الشيخ غانم الذي يرى من الجهة الشرقية معبداً للسامريين

تلك الاعياد الدينية (تث ٢٧ : ٤) وليس عيبال (كما يثبت اليهود زوراً) . وقد لاحظنا ان حجته في ما قاله في حق الجبلين صـــادقة الى حد ما فانه وان لم يكن في كلا الجبلين ما يدعو الى الفخر بجماله غير ان السالك بينهما يرى في جرزيم منظراً اكثر خضرة وثمراً من عيبال . ولعل السبب في ذلك انه باتجاهه نحو الشمال يُحمى (اي سفحه) من حر الشمس بظله بينما عيبـــال باتجاهه الى الجنوب وتعرضه للشمس التي تأتيه مباشرة لا بد ان يصير اكثر جفافاً وقحلاً . ولم يقدر الكاهن السامري ان يقول انه يمكن رؤية احد الحجارة التي امر يشوع ان تقام في جرزيم ولو كانت باقية لحسمت الخلاف وحكمت له .

وسألته اي نوع من الحيوانات يظن السلوى التي طعم منهـا بنو اسرائيل زمناً طويلاً في البرية (عدد ١١) فاجاب انها نوع من الطيور ومن الوصف الذي وصفها به لاحظت انه اراد انها نوع من السمن (quails) المعروف عندنا . فسألته ماذا يظن في الجراد وهل يمكن تفسير الخبر بالقول انه هو المخلوقات المجنحة التي سقطت بكثرة على محلة اسرائيل . فظهر من جوابه انه لم يسمع قط بفرض كهذا . ثم سألته عن اللفاح الذي اعطته ليئة لراحيل (١) فاجاب انه نبات بورق كبير يحمل نوعاً من الثمر في شكل التفاح وهو ينضج في الحصاد ورائحته ردية ولا يصلح للأكل لكن من خصائصه المساعدة على الحمل بوضعه تحت الفراش وان النساء كثيراً ما يستعملنه في هذه الايام عن اعتقاد بخاصته المانحة للخصب . وقد رأيت عدداً من هذا النبات فيما بعد في طريقي الى القدس . واذا كان النبات كثيراً في ما بين النهرين كما رأيناه حولنا لا بد للمرء ان يستنتج ان هذا ليس اللفاح الحقيقي (دودايم) والا فان الناقد يحـــار في معرفة السبب الذي حمل راحيل ان تشري اشياء عادية بثمن محبوب مختصم فيه .

وأراني الكاهن نسخة من الاسفار الخمسة لكن لم يمكن اقناعه ان يبيعها باي ثمن وكان معه ايضاً نسخة من المجلد الأول من الطبعة الانكليزية لترجمات التوراة (Polyglot) .

اما نابلوس فهي الآن في حالة حقيرة بالنسبة الى ما يذكر انها كانت عليه قديماً . وهي مؤلفة من شارعين متوازيين تحت جبل جرزيم لكنها ملأى بالناس وهي مركز باشا .

وبعد ان دفعنا الغفاره هنا استانفنا السفر مساء وسرنا في الوادي الضيق نفسه بين جرزيم وعيبال (ولا يزيد عرضه عن ثمن ميل) فرأينا عن اليمين خارج المدينة جامعاً صغيراً يقال انه

---

(١) تك ٣٠ : ١٤

ُبني فوق القبر الذي اشتراه يعقوب من حموراني شكيم (تك ٣٣: ١٩) ويدعى قبر يوسف وقد ُدفن هناك بعد نقله من مصر (يش ٢٤: ٣٢).

وبعد نحو ثلث ساعة من نابلس جئنا الى بير يعقوب المشهورة ليس فقط بسبب صاحبها لكن لاجل الحديث الشهير بين مخلصنا المبارك والمرأة السامرية. واذا ُسئل هل هذه هي البئر التي ُيدعى لها هذا الأمر ام لا اذ انها تحت الشبهة لكونها بعيدة عن سوخار وبعيدة على النساء حتى يأتين ويستقين منها ُيجاب بان الارجح ان المدينة امتدت نحو هذه الجهة في الايام السالفة الى ابعد مما هي الآن. وذلك يحتمل الظن من قطع سور عريض جداً يرى ليس بعيداً من هنا. وقد قام على البئر سابقاً كنيسة كبيرة بنتها الولية العظيمة التقية للارض المقدسة الامبراطورة هيلانه. غير ان ايدي الزمن مع طمع الاتراك لم تترك سوى بعض اساسات باقية. اما البئر فهي مغطاة في الوقت الحاضر بعقد حجري قديم ينزل اليها من ثقب مستقيم جداً. واذا أزحت حجراً منبسطاً عريضاً ترى فم البئر نفسها. وهي منقورة في صخر صلد قطرها ٣ يردات وعمقها ٣٥ يرداً وخمسة منها فيها ماء. وهذا ينقض القصة التي تقال عادة للسياح الذين لا يهتمون لان يفحصوا البئر وهي انها ناشفة كل السنة عدا عيد اليوم الذي جلس عليها مخلصنا المبارك (عيد السامرية) فانها في ذلك اليوم تنبع ماء غزيراً.

وعند هذه البئر ينتهي وادي شكيم منفرجاً الى حقل واسع هو على الارجح قسم من الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه يو ٤: ٥. وهو مسقي بساقية عذبة تفصل بينه وبين شكيم فتجعله كثير الخضرة والثمر فينظر اليه كرمز دائم الى العاطفة الرقيقة التي كانت للبطريرك نحو افضل اخوته (تك ٤٨: ٢٢).

ومن بئر يعقوب سارت بنا الطريق جنوباً في وادٍ واسع خصب وبعد ان جاوزنا قريتين الواحدة حواره والأخرى الساوية وصلنا الى خان اللبن وبتنا هناك. وقد كان كل مسيرنا اليوم نحو ٨ ساعات يتراوح بين الجنوب والشرق.

وخان اللبن واقع على الجانب الشرقي من وادٍ نضير. وهناك قرية باسمه واقعة مقابله على الجانب الآخر من الوادي. واحد هذين المكانين اما الخان واما القرية ُيظن انه لبونة المذكورة في قض ٢١: ١٩ والاسم والموقع يوافقان الوصف.

ملحق (٢)

آثار مدينة السامرة

وفيه مقالتان الأولى ظهرت في السنة الثالثة من مجلة الاخبار الكنسية وهي خلاصة تقرير جامعة هارفرد عن اعمالها في مدينة السامرة (سبسطية) قبل الحرب العمومية . اما الثانية فتبحث في نتيجة النقب عن آثار السامرة بعد الحرب ابتداء من سنة ١٩٣١ الى ١٩٣٣

المقالة الأولى

اطلعنا على تقرير جامعة هارفرد عن اعمالها في السامرة (سبسطية) وهو في مجلدين ضخمين بطبع متقن وورق جيد مزدان بالرسوم والخرائط . فرأينا ان نلخص ذلك التقرير في مقالة ننشرها على صفحات الاخبار لفائدة قرائها . وقد ضربنا صفحاً عن المصطلحات الاركيولوجية التي لا تهم سوى علماء الآثار واكتفينا بما يفيد الجمهور ويهمه

١ — صفحة من العهد العثماني

قال الكاتب : في شهر كانون الثاني من سنة ١٩٠٥ تبرع المستر يعقوب شف (Mr. Jacob H. Shiff) من سكان نيويورك بتقديم مبلغ ٥٠ الف دولار لاجل الحفر في فلسطين تحت اشراف المتحف السامي لجامعة هارفورد وقد شرط في تقديم المبلغ ان تستحصل الرخصة في الحفر من الحكومة العثمانية في خلال ٦ اشهر ثم مدّدت المدة الى تشرين الاول من سنة ١٩٠٧ واضاف المستر شف لاجل النفقات الابتدائية مبلغ ٥ الاف دولار اخرى

فعينت الجامعة لجنة لتقوم بالمشروع . وهذه عينت البروفسور جورج ريزنر الذي كان واسع الخبرة في الحفر في مصر

اما الخطوة الثانية فكانت اختيار المكان واستحال الرخصة وكانت الرخص لاعمال كهذه تمنح من السلطان بتوصية من مدير المتحف السلطاني في الاستانة . فوقع اختيار اللجنة على السامرة . الا ان الاختيار كان احتياطياً موقتاً لانه شاع ان بعض المنقبين الالمان كانوا يطلبون اذناً من الحكومة العثمانية لاجل الحفر في السامرة . غير ان الاشاعة لم تكن صحيحة فقدّم الطلب

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٥ وصل الدكتور ريزنر الاستانة ومعه رسائل الى السلطان من رئيس

جامعة هارفرد ومن روزفلت رئيس الولايات المتحدة وقد ساعدنا في الطلب المستر ليشمان القنصل الاميركي في الاستانة

وتلقى حمدي بك مدير المتحف السلطاني طلبنا بلطف واهتمام واعطانا تصريحاً لفظياً مؤكداً بانه سيؤذن لنا في النقب في السامرة . لكن كان معلوماً ان الرخصة الحقيقية لا ينتظر صدورها قبل نشر الصورة الجديدة لقانون الآثار وقد كان حينئذ تحت التنقيح

على انه بالرغم عن الوعود الشفهية لم تمنح الرخصة الا في خريف سنة ١٩٠٧ ، اما اسباب العاقة فكانت غامضة . لكن اتضح ان قسماً منها كان موقف موظفي الحكومة في نابلس التي سبسطية من توابعها

وانقضى الاجل المضروب من المستر شف لكن كان يرجى ان يجدد عرضه اذا صدرت الرخصة . وسنة ١٩٠٧ نمي خبر الى كمبردج ان الرخصة منحت . فجدد الدكتور شف هبته واتى الدكتور ريزنر الى فلسطين من مصر حيث كان قد ذهب وارسلت جامعة هارفرد البروفسور ليون ممثلاً لها ليساعد المستر ستراوس وجاء ايضاً الدكتور فيشر مهندساً للبعثة وكان قد نال اختباراً في حفريات بابل . ودعي الدكتور شومخر ليكون مديراً للعمل . وصرفت الاسابيع الثلاثة الاولى من نيسان في الاعمال التمهيدية وفي المخابرة مع الحكومة في نابلس وحيفا وبيروت وابتدئ العمل في ٢٧ نيسان لكن في ٣٠ منه اعترضت صعوبات مهمة اذ جاء من نابلس طلب (١) برسم للحقول التي تصبح غير صالحة للزراعة في سبسطية . وظاهر الطلب موجه الى تعديل الرسوم الاميرية (٢) طلب بارسال الوصولات التي بيدنا عن اثمان الارض التي دفعت الى الفلاحين (٣) ارسال قرار لجنة مجلس الادارة المعطى في ايلول سنة ١٩٠٦ الذي فيه حددت الاثمان التي تدفعها البعثة عن الارض والاشجار . وصحب هذه الطلبات تهديد بتوقيف العمل . فاجاب الناقبون انه لا يمكنهم ان يسلموا النسخة الوحيدة التي بيدهم من قرار اللجنة ومجلس الادارة وفي اول ايار جاء المفوض وهو شاب قليل الخبرة في مهمته واحضر معه اوامر من نابلس تحظر متابعة العمل فأوقف العمل بعد ٥½ ايام من الشروع فيه . وصرفت عدة ايام في المخابرة مع بيروت ونابلس لكن على غير جدوى ورجع الدكتور ريزنر وعماله المصريون الى مصر

وفي ٢٢ ايار استؤنف العمل في الخنادق التي خططت في المدة الاولى غير ان الحكومة المحلية عادت فتداخلت بصورة شديدة وطلبت ان يجري دفع الاموال الى الفلاحين في نابلس بحضور المأمورين . لكن الفلاحين قاوموا هذا الطلب لاسباب لا تخفى فاتضح انه يستحيل

متابعة العمل الا اذا جاء الفرج من الاستانة فسافر الدكتور شوماخر والدكتور ليون الى الاستانة

وفي بيروت زارا والي بيروت فوعدهما ان يوصي الى حكومة نابلس بان لا تعارض البعثة اما المفوّض فقال الوالي انه معين من حمدي بك ولا سلطة له عليه

ووصل عضوا البعثة الاستانة وفي ١٨ حزيران قابلا حمدي بك مقابلة قصيرة فطلب عريضة مكتتبة تحوي شكواهما فقدماها بعد يومين فقال «اني اعدكم بالترضية التامة . فاني قد اشتغلت في هذا المكان ٢٥ سنة في سبيل العلم ولن يلقي احد حجراً في سبيلكم .» وقد اثبتت الحوادث التابعة اخلاص حمدي بك . واتفقنا مع اخيه وخلفه فيما بعد على خطط مفصلة ووعدنا ان يرسل مفوضاً اكثر خبرة وعلماً وقد برَّ بوعده

وفي ٦ تموز كنا ثانية في نابلس وتسلينا بزيارتنا الحاكم فيها اذ اخبرنا ان السبب في اصراره على ان يكون الدفع الى الفلاحين في نابلس وليس في سبسطية رغبته ان يوفر علينا تعباً في المستقبل

وفي ١٠ تموز جاء المفوض وقد ساعدنا اهتمامه واخلاصه في تمهيد السبيل للعمل وحدثت ثورة تموز سنة ١٩٠٨ وكانت نتيجتها نقل السلطة الى يد جمعية تركيا الفتاة فكانت مفيدة لنا اذ تحولت الانظار عن عملنا في سبسطية الى شؤون اخرى . وكان المفوض من جمعية الاتحاد والترقي . وزياراته الكثيرة الى نابلس جعلتنا على اتصال بمجرى الحوادث في البلاد

وامتدت المدة الاخيرة من بعثة ١٩٠٨ من ١١ تموز الى ٢١ آب وابتدأنا بمئة وثلاثين عاملاً وبلغ العدد ٤٥٠ في ٣ آب لكن قلة النظار اضطرتنا الى تخفيض العدد الى ٢٠٠ عامل وكان الرجال يحفرون والنساء والاولاد ينقلون التراب

وابتدأت البعثة الثانية عملها سنة ١٩٠٩ وكان مع الدكتور ريزنر الدكتور فيشر مهندساً والمستر اوريك باتس . اما ممثلو الحكومة العثمانية فكان بينهم شوكت افندي الخالدي من ٤ حزيران سنة ١٩٠٩ — ٢٨ حزيران سنة ١٩١٠ والتقرير يثني عليه ويقول انه كان ذا خبرة في العمل وانه كان لطيفاً انيساً واثقاً بحسن نية البعثة ومراراً حماها من تحكمات صغار الموظفين ولم يسمح لاهالي سبسطية ان يتعدوا على رجالها او يلصوهم

وعقبه محمد سعيد عبد الهادي وكان احدث سناً واقل خبرة من سلفه في عوائد الاوربيين لكنهُ كان انيساً لطيفاً مهذباً وقد ساعدنا كثيراً في صرف الشكايات التي كان يبعث بها الفلاحون الى الاستانة وفي تسوية الاجرة بين البعثة والملاكين

ان فاس الناقبين قد كشف آثار السامرة (١) الرومانية (٢) السلوقية (٣) الاشورية (٤) الاسرائيلية

اولاً الاثار الرومانية وهي اكثر الآثار الظاهرة . في العصر الروماني وصلت المدينة الى حدها الاقصى من الامتداد والعظمة . فان هيرودس بنى المدينة على تصميم جديد ودائرة اوسع مما كانت عليه قبلاً وقد اقيمت اسوار تحيط بالمدينة وراء الاسوار القديمة وابعد منها عدا البوابة الغربية التي بقيت مدخل المدينة الكبير . واختط جنوب الاكمة شارعاً عريضاً باعمدة على الجانبين ولا تزال الاعمدة قائمة والشارع معروف بشارع الاعمدة . وابتدأ الشارع من البوابة وسار مع الاكمة عند اسفل الصخر وقد كان هذا حد المدينة الى ذلك الحين . وعلى احد سفوح الاكمة الشرقي بنى الساحة العمومية (Forum) محاطة بصف من الاعمدة وبنى عند طرفها الغربي باسيليكا . اما اعلى بقعة من الاكمة فبنى عليها هيكلاً ضخماً لولي نعمته اوغسطوس قيصر وقد شاده على دكة صناعية دعمت باسوار حصّن زواياها وجوانبها بابراج . وقد قامت هذه على اسوار الحصن اليوناني القديم وكان للهيكل ساحة امامية واسعة وابنية اخرى تابعة له . والى الطرف الشمالي الشرقي لكن اوطا من الهيكل بكثير بنى ملعب الخيل (Hippodrome) وتدل الآثار الباقية انه اقام على الطرف الشمالي من الجبل مرسحاً

شارع الاعمدة : لا دليل على ان هذا الشارع احاط بالاكمة كلها لكنه ابتدأ من البوابة الغربية (باب البرص انظر ٢ مل ٧:٣) في صعود وسار مع القسم الجنوبي من الاكمة ثم دار بالطرف الشرقي ودخل الى الساحة العمومية من جهة الشرق اما عرض الشارع فكان نحو ١٦ متراً وعلو العمدان عدا القواعد نحو ٤،٧ متراً والمسافة بين العمود والآخر ٣،٢٦ متراً

الساحة العمومية (Forum) : كان القسم الشمالي من الساحة مدعوماً بسور تجاوز الطرف الغربي من الباسيليكا كشف منه ١٦١ متراً وكان عرضه في الجهة الشرقية ٧٢،٥ متراً وطوله في الشمال ١٢٨ متراً وكان محاطاً بشارع من الاعمدة بعرض نحو ستة امتار وكان السور مفتوحاً من جهتين ليطل على مسرح الخيل وعلى الساحة نفسها . ولم يكشف الا الصف الغربي من الاعمدة . وقد كان على الجانب الغربي ٢٤ عموداً وكان في الجانب الغربي فسحة تؤدي الى الباب الشرقي من الباسيليكا

الباسيليكا : الباسيليكا بناء مستطيل ذو حنية . وكانت هذه ضمن السور المحيط بالدكة الصناعية . طولها ٦٨ متراً في عرض ٣٢،٦ وقد اختفى الحائط الشرقي اما الغربي فبني عند ترميم المدينة في ايام سفيروس

اما داخل الباسيليكا فمؤلف من قاعة وسطية طولها ٤٤ متراً في عرض ١٤،٩٢ وجناحين ويحيط بالقاعة ثلاثة صفوف من الاعمدة وارض الجناحين مرصوفة بالفسيفساء

المحكمة : في طرف الباسيليكا الشمالي كانت محكمة في شكل نصف دائرة قطرها ٤،٤٠ متراً ولها اربعة مقاعد مستديرة الواحد اعلى من الآخر

وقد اعاد الامبراطور سبتموس سفيروس بناء الساحة العمومية والباسيليكا وفي العصر البزنطي بنيت فيها كنيسة

ملعب الخيل : لم يحفر الملعب لكن الفسحة المحصورة بين صفين من الاعمدة طولها ٢٢٥ متراً وعرضها ٥٥ والقسم الشمالي كان مفتوحاً على موازاة سور المدينة

المرسح : في منحدر الاكمة نحو الشمال ركام من الحجارة المنحوتة حيث يرجح ان المرسح كان قائماً

ضريح قديم : تحت بيت سماره وجد ضريح قديم وهو غرفة مربعة امامها ممشى على جانبيه دكتان عليهما ناووسان عظيمان ولكل حائط ضمن الغرفة محراب وفي المحراب الشمالي وجد ناووس فارغ وعلى الارض ثلاثة أخرى فارغة . والناووسان الخارجيان اجمل صنعاً من الاخرى وعلى احدهما صور اكاليل من الغار وقطوف من الثمر وصورة شخص لعله الميت . اما الاخر فكان اكثر نقشاً لكنه دون الاول صناعة وعليه صورة اوراق من الغار متداخلة ضمنهـا صف من الجند العراة يحملون عناقيد من الفاكهة وعلى الغطاء اكاليل من ورق الشجر على اكتاف ثلاثة من آلهة الحب . وعلى الزوايا أسود كبيرة جاثمة اذنابها ملتفة فوق اوراكها (وهي من صنع الرومانيين)

هيكل اوغسطوس : هذا الهيكل على أعلى قمة من جبل السامرة وقد بناه هيرودوس اكراماً لوليه اوغسطوس كما اشار الى ذلك يوسيفوس المؤرخ وقد وجد تمثال كبير امام الهيكل يكاد يكون محققاً انه تمثال اوغسطوس . وكان امامه فسحة واسعة وكان يرقى اليه بدرج عظيم بعرض الهيكل وكان امام الدرج مذبح ولا يعلم اين قام التمثال . وقد ذكر يوسيفوس ان هيرودوس احاط الهيكل بفسحة محيطها ثلاثة اميال ونصف جعلها حرماً للهيكل وكان تحت السطح الشمالي دهليز وعقد قبالته درج يؤدي من الدهليز الى سطح دكة الهيكل . ويظن ان الهيكل لم يرضَ عن بنائه سوى هيرودوس واسرته والرومانيين ولذلك بعد موت هيرودوس هُجر فتهدم سيما انه في القرن الثاني كفت سبسطية ان تكون مركزاً للحكام فاهمل واستعمل مقلعاً للحجارة وظل كذلك الى ان جدد بناءه الامبراطور سبتموس سفيروس سنة ٢٠٠ ق . م .

وبين البقايا الاخرى وجد (١) مذبح للتقدمات مكرس لجوبتير منقوش عليه ما ترجمته «لجوبتير اوبتموس ماكسموس. جيش كتائب باتونيا العليا وسكان سبسطيا وفارسياني ولاثوييسي قد كرسوا هذا» (٢) مذبح آخر للتقدمات قرب المذبح الكبير عليه كتابة لاتينية مطموسة (٣) قطع الواح رخامية قريء عليها اسم فاسباسيانوس (٤) قطع من رأس بشري (٥) رأس انسان من الحجر الكلسي الاشهب بشاربين وشعر يغطي الرأس وفي الاذنين قرطان (٦) تمثال (يرجح انه لاوغسطوس قيصر) من الرخام الابيض (٧) رأس من رخام لعله رأس جوبتير اما النقود فسياتي ذكرها

المدينة التي قبل عصر هيرودس

دلت الآثار على وجود مدينة من بناء السلوقيين (خلفاء سلوقس نيكاتور احد قواد الاسكندر). الا ان هيرودس لما بنى الهيكل هدم قسماً من البيوت القائمة ولا يعلم تاريخ هذه بالتحقيق. فقد تكون من بيوت المدينة السلوقية التي اخربها يوحنا هركانوس المكابي سنة ١٠٧ ق.م. (او قبيل ذلك بقليل) او من بقايا المدينة التي جدد بناءها غابينوس الروماني سنة ٥٧—٥٥ ق.م.

وخلاصة ما استنتج من النقب ومن مقابلة النقود التي وجدت هناك انه حين بني الهيكل كانت المدينة ماهولة. اما المدينة نفسها التي بني الهيكل على انقاض بيوتها فليست اقدم من ٧٩ ق.م. وبحسب دليل النقود لم تسكن بعد ٣٩ ق.م. والارجح ان البيوت المشار اليها من بقايا مدينة غابينوس

اما الانقاض التي تحت مدينة غابينوس فتدل على ان المدينة كانت ماهولة من قبل ٤٠٠ ق.م. الى ١٠٠ ق.م. والبرهان على ذلك الخزف والنقود اليونانية وبين الاخيرة وجدت قطعة فضة اثينية (من اثينا) من القرن الخامس وقطعة نحاسية من نقود الاسكندر المكدوني (نحو ٣٣٠ ق.م.) ولم يوجد سوى هاتين اقدم من ٣٠٠ ق.م. وفي سنة ٣٠٠ ق.م. خضعت فلسطين لحكم البطالسة وجميع النقود التي وجدت عدا القليل هي من نقودهم

ونحو ٢٠٠ ق.م. فتح انطيوخوس الثالث فلسطين وانتزعها من البطالسة ولذلك فنقود القرن الثاني هي سلوقية عدا سكة بتولمايس (عكا). وخلاصة ما يستنتج عن تاريخ هذه المدة من دليل الآنية الزجاجية والقطع الخزفية التي هي قطع من صنع القرن الرابع والخامس ق.م.

ان البقعة كانت مكتظة بالسكان بين ٤٠٠ و ١٠٠ ق . م . ويرجح ايضاً انها كانت مأهولة قبل ٥٠٠ ق . م .

اما النقوش التي وجدت فهي قليلة واثنان منها وجد في محلات غير مهمة . فمنها نقش على لوح حجر كلسي هو امر من الملك ديمتريوس مكتوب على قسم محيت عنه الكتابة فالامر قديم أعيد اصداره بامر الملك ديمتريوس . وتاريخ هذا بين ١٦٢ و ١٢٥ ق . م . اما النقش الثاني فتاريخه ١٦٠ ولعله من حكم السلوقيين او نحو ١٢٢ ق . م .

والخلاصة عن امر هذه المدينة انه بين ٥٠٠ و ١٠٠ ق . م . قامت مدينة زاهرة على الاكمة محاطة بسور قوي ضمنه سور ثاني يحمي قمة الاكمة وهذا السور يتقاطع مع السور الاسرائيلي القديم وسور هيرودس . وهو ذو ابراج وله باب في الجهة الغربية ولم يبقَ من هذه المدينة سوى اثار بيوت كبيرة بنيت في الاسوار السميكة واما بقية البيوت فقد عفت ودرست آثارها ويظهر من الآثار انها اضمحلت قبل سنة ١٠٠ ق . م . وان تخريب يوحنا هركانوس المكابي لها كان تاماً كما وصفه يوسيفوس

ان سرجون ملك اشور أخذ السامرة ودمرها سنة ٧٢٢ ق . م . على انها عُمرت بعد ذلك والدليل سلسلة من الاسوار مبنية على الاسوار الاسرائيلية المتهدمة تسير معها لكنها على ترتيب مخالف لترتيب تلك . وخلاصة ما يُقال عن هذه المدينة انه بعد خراب المدينة الاسرائيلية احتلَّ بقعة المدينة المستعمرون الاشوريون الذين جاء بهم ملوك اشور (٢ مل ١٧ : ٢٤) وقد حصن السكان الجدد المدينة بسور قوي الى منتصف منحدر الاكمة وبنوا ضمنه سوراً داخلياً محيطاً بقمة الاكمة . اما تاريخ المدينة من القرن السابع الى الرابع فلا يُعلم عنه شيء لكن نعلم ان الاسكندر ذا القرنين استولى على السامرة سنة ٣٣١ وعاقب اهلها على قتلهم حاكمها الذي كان نصبه عليهم وأتى بمستعمرين مكدونيين واسكنهم فيها . لكن ليس من اشارة الى انه أخرب المدينة . وقد ذكر يوسيبيوس ان بردكاس رممها سنة ٣٢١ ق . م . اما في الحروب التي قامت في نصف القرن الثالث فقد أصيبت المدينة اكثر من مرة بخسائر فادحة فقد قيل ان بطليموس لاجي هدم جميع تحصيناتها عند ارتداده من سوريا من وجه انتيغونوس وان ديمتريوس بوليكريتيس نهبها . غير ان السامرة اليونانية بالرغم من جميع هذه الحوادث وطوارق الدهر بقيت على هيئتها الى ان اخربها هركانوس المكابي

المدينة الاسرائيلية

وتحت هذه الطبقة بقايا المدينة الاسرائيلية وقد بُنيت على الصخر الأصم ويظهر ان حجارتها قطعت من قمة الاكمة وبها بُنيت بيوتها

وقد اكتشف على قمة الاكمة بناء ضخم كبير ظهر انه ليس هيكلاً فلا بد انه قصر لملوك اسرائيل بُني اول ما احتل ملوك اسرائيل تلك الاكمة وقد تايد هذا الاستنتاج من الموجودات في تلك البقعة . وهذا القصر الاسرائيلي مؤلف من ثلاثة ابنية متعاقبة تدل عليها اوضاعها النسبية وقد سميت بقصور عمري وأخآب ويربعام الثاني

اما البناء الأصلي فقد أقيم على جناح من الصخر على دكة صناعية صخرية مرتفعة نحو مترين عن الأرض . والحيطان سميكة ضخمة وقد نسب هذا البناء الى عمري لانه اقدم الثلاثة

لكن بحذاء القصر الاصلي بناء آخر يحيط بالأول من الشمال والغرب والجنوب وهو اوسع منه دائرة وادق صنعاً . وقد سمي هذا البناء بقصر العاج الذي بناه اخآب ويبرر استعمال هذا الوصف نعومة سطح الحجارة التي قد اصفرّت بفعل الاقليم(١) وعدا البناء الرئيسي ثلاثة اجنحة الغربيّ منها كان قاعة مفتوحة محاطة بسور مبنيٍ على جانبه صف من الغرف . وقد وُجد في الساحة التي امام القصر في كوم الردم بقايا نقوش اسرائيلية والاناء المعروف باناء اوسرخون (Osarchon Vase) وجُعل ومِقبض من عاج في شكل رأس اسد وقطع خزف اسرائيلية ومقبض خنجر . وفي ساحه الجناح الشمالي وُجدت بركة طولها ٥،٢ متراً في ١٠،٢٣ متراً في عمق ٥ امتار ولا ريب انها بركة السامرة المذكورة في ١ مل ٢٢ :٣٨

اما البناء الثالث الذي سُمي بقصر يربعام الثاني فقد أضيف الى الوجه الغربي من ساحة قصر أخآب وهو يفوقه فناً ويمتاز عنه ببرج عظيم مستدير قطره ١٤،٢٠ متراً في الزاويه الجنوبية الغربية . وقدكانت المدينة الاسرائيلية محصنة بسور منيع ضخم البناء سمكه نحو ٢،٥٠ متراً وكان شارع يمتد الى الاكمة من البوابة الغربية

اما البوابة الغربية (٢ مل ٧:٣ و ١٧) فالارجح انها تألفت من برجين كبيرين مربعين يحميان ممراً ضيقاً لكن لم يكشف سوي آثار برج واحد تحت سور الحصن اليوناني

---

(١) لكن انظر المقالة الثانية والسبب المرجح لتسمية بقصر العاج

النقوش الاسرائيلية

لم توجد كتابات او نقوش اسرائيلية يعتدّ بها وغاية ما عُثر عليه قطع فخار عليها كتابة اسرائيلية بالحبر الاسود اما الحروف فشكلها كشكل اقدم الحروف المعروفة ويمكن نسبتها الى القرن الثامن او التاسع قبل المسيح والحق ان ليس من أثر خطي يدل على النتائج التي وصل اليها الناقبون من جهة عمر الابنية التي كشفت . فلم يُقرأ اسم اخآب او عمري في كتابة ما او على حجر ما في القصر لكن تاريخ البناء من حيث الفن يتفق مع تاريخ التوراة ويضاف الى ذلك ان شكل البناء مماثل لشكل بناء اسرائيلي وجد في مجدو (تل المتسلم) وقد وجد على ساحة القصر جرة مصرية عليها اسم وتاريخ اوسركون الثاني ملك مصر الذي كان معاصراً لاخآب ووجدت ادوات مصرية وقطع خزفية من كتابة ذلك العصر اي من ٨٦٥—٧٢٢ ق . م .

اما الكتابات الاسرائيلية فهي على جرار وآنية فخارية وتبتدىء عادة بالقول في «السنة كذا» والمراد من مُلك الملك المعاصر وفي ما يلي امثلة مما قرىء عليها

(١) في السنة العاشرة . خمر من كرم التل عن جرة من الزيت الطيب

(٢) في السنة . . . . من م . الى م .

(٣) في السنة العاشرة الى شماريو من بيريم جرة (او جرار) من (الخمر) العتيقة

وبين الاسماء راجي بن اليشع . عزة . اليبا . بعلة بن اليشع . يدايو . ابيعل . احاز . شيبع . مريبعل . وقد ورد بين الاعلام اسماء شكيم والتل وكرم التل وقد قرىء ايضاً اسماء ابيعزر وحالق وشكم وشميداع ونوعه وحجلة وهذه اسماء بعض اولاد منسى وبين الاسماء اخيما وايشا اخيمالك وحالص وحانات وناثان ورافا وغيرها

ويظن ان هذه الكتابات كانت وصولات بيع او جزيه عند احضارها الى قصر الملك

الكتابات الاسفينية . وجدت كتابتان اسفينيتان الأولى قطعة من رسالة مكتوبة على لوحة من الاجر عليها نصف ختم اسرائيلي ترجمتها : «ان كان في اليوم العاشر من الشهر ايزجلتليم أمر أبياهي (الى) حاكم المدن يؤذي ٦ ثيران و١٢ خروفاً

اما الثانية فسطر لم يعلم تأويله

النقوش الهيروغليفية . وجد في ساحة القصر اناء من المرمر المصري بأذنين وعليه حرطوشان (Cartouche) للملك اوسوركون الثاني المصري وكتابة افقية مفادها

«ملك مصر العليا والسفلى — ري وس مآت . المختار من أمون (رب البلادين المحبوب

من امنون ابن بست . اوسوركون هن ٨١) والخوطوشان يذكران اسمين ونقبين لاوسوركون الثاني . ووجدت ايضاً جعلان مصرية قيمتها التاريخية مجهولة

وقد وجدت نقوش ارامية ونقوش يونانية ليست بذات قيمة وقد اشرنا الى النقوش اللاتينية

النقود . وجدت نقود كثيرة لكن ليس منها سوى ثلاثة يرجع تاريخها الى ما قبل ٣٠٠ ق . م . احدها قطعة فضية من سكة اثينا وقطعة نحاسية عليها رسم الاسكندر المكدوني واخرى بطليموسية مجهلة التاريخ . اما بقية النقود فوجد منها ١٦ لبطليموس الاول و٣١ (او اكثر) لبطليموس الثاني و٦ لبطليموس الثالث وواحدة لبطليموس الرابع وواحدة لبطليموس الخامس واكثر هذه النقود يرجع الى عصر حكم البطالسة للسامرة من ٣٠٠—٢٠٠ ق . م . وقد وجدت نقوش كثيرة للملوك السلوقيين (ملوك انطاكية) بينها درهم ذهبي لانطيوخوس الاول على خلاف المنتظر و٢٠ قطعة لانطيوخوس الثالث وقطع أخرى لكل من سلوقس الرابع وانطيوخوس الرابع وديمتريوس الثاني وللاسكندر زيبينا ولكليوباترا وانطيوخوس الثامن ولانطيوخوس التاسع

ووجدت نقود من سكة بتولمايس (عكا) وارادس (لعلها ارواد) سنة ٢٠٨ ق . م . اما نقود القرن الاول ق . م . المستعملة فكانت جميعها مكابية او من سكة المدن المستقلة فقد وجد بينها ٤ من سكة عكا ومن سكة دورا (الطنطورة) وطرابلس وصور وانطاكية

اما النقود المكابية فوجد منها ١ لاسكندر يانيوس و٧ لاسكندر (مجهول) و٢ لانتيغونوس و٤٢ عليها صور النجم والمرساة

ووجد ١٦ قطعة من عصر هيرودوس الاول و٦ من زمن ارخيلاوس و ٤ للولاة الرومانيين و٢ لطيباريوس و٢ لهيرودس اغريباس و٧ لنيرون

اما المدة بين ١١٠—٦٠ ق . م . فلا يكاد يوجد لها نقود وهذا ما يُنتظر اذا صح ان المدينة هدمت وأخربت سنة ١٠٩ ق . م . ولم تسكن الا عندما بناها غابنيوس سنة ٦٠ ق . م .

ووجد كثير من النقوش الرومانية واكثرها من القرنين الثالث والرابع بعد المسيح

اما البيزانطية فقليلة خلافاً للمنتظر اثنان منها من سكة يوستنيانوس

ووجدت ٦ نقود عربية من القرنين الثاني عشر والثالث عشر لم تحل كتابتها وقطعة واحدة نحاسية للملك الكامل

آثار السامرة المكتشفة بعد الحرب سنة ١٩٣١ فما بعد

يشترك في التنقيب عن آثار السامرة بعثة مؤلفة من رجال من قبل جامعة هارفورد ومن جمعية النقب في فلسطين ومن الجامعة العبرية ومدرسة الاثار البريطانية في القدس ويؤازرها المجمع البريطاني العلمي . ودائرة عمل هذه البعثة تتناول خمس بقع وهي المعروفة بالعقدة وقطاين الدير وحاكورة البيدر وكرم التوتة وكرم الشيخ

وهذه البعثة ساعية في التوسع في الحفريات التي أجريت قبل الحرب العظمى

واهم ما وجدته هذه البعثة حتى الآن :

(١) قصر عمري وآخاب (في القعدة) . تبين ان القصر فذ في بابه بين آثار فلسطين فان الطرف الغربي من باحة القصر طولها من الشمال الى الجنوب ١٢٥ متراً اما شرقاً بغرب فكانت المسافة اكثر على انه لم يكشف من هذه سوى ٤٠ متراً . وهذه الابعاد تري ان هذه القصور بنيت على مثال قصور ملوك اشور العظام . اما الحجارة والبناء فهي من ادق ما وجد في هذه المدة في فلسطين ولا يضاهيها شيء سوى ما وُجد في مجدو ولما كانت الاسوار في مجدو ذات صلة بسليمان وعن سليمان بصور فصلة بناء السامرة بصور ودمشق لا تقل وضوحاً عن تلك . ولدى البعثة اسباب كافية تحمل على الاعتقاد بان هندسة القصر مقتبسة من دمشق وصور . وقد وجد في هذا القصر قطع من العاج محفورة بصور ونقوش مما يفسر لنا تسمية القصر «ببيت العاج الذي بناه آخاب» في ١ مل ٢٢ : ٣٩ وكان يظن سابقاً ان سبب تسميته انه بني بحجارة نظيفة لامعة كانت تتراءى عن بعد كانها من عاج

(٢) هيكل روماني قديم ومذبح وابنية متصلة بالهيكل (كرم التوته) والهيكل والابنية على ما يظهر كانت مكرسة للالاهة كوري Korê ويرجح انه من بناء القرن الاول ويظهر من كتابتين وجدتا واخرى وُجدت في نابلس ومن رسم الالاهة على نقود سبسطية في القرن الثالث ان عبادتها كانت شائعة في تلك الكورة . ويظهر ان المكان المعروف بميدان الخيل والذي فيه اعمدة كورنثية هو جزء من بناء روماني بني على انقاض رواق اعمدة دورية الشكل (Doric) وفي الزمان اليوناني والروماني بعده يُرجح ان جميع المكان الذي كان يحوي على فسحة للصارعة وميدان للسباق وطوله ٢٠٠ يرداً جعل تحت حماية الالاهة كوري (Korê Pêrsephone) وقد وجد تمثال جميل للالاهة من صنع القرن الثالث ب . م . وفي اليد الواحدة مشعل وفي الاخرى رمانة وسنابل قمح ونقوش وكتابة متعلقة بعبادتها واوقعها في النفس كتابة باحرف حمراء على قطعة

رخامية هي اعتراف لرجل مُوحِّد لا يزال اميناً لعبادتها القديمة والاعتراف يقول «الله واحد رب الجميع . عظيمة هي كوري التي لم تغلب»

(٣) كنيسة رأس يوحنا المعمدان . (في قطاين الدير) وجد شارع مبلط فوق السور الاسرائيلي ربما من القرن السادس يؤدي الى ارض الدير . اما الدير فقد كان على مسافة ٣٠٠ يرد الى الغرب وفيه خرائب كنيسة مسيحية وهناك لا يزال مسيحيو سبسطية يدفنون موتاهم حول الكنيسة . وقد اكتشفت الكنيسة كاملة ويظن ان السقف الاول كان من خشب ثم سقفت بالحجر . ولا تزال الحيطان الى علو ١٥ قدماً . وتوجد آثار فسيفساء . وهذه الكنيسة هي كنيسة رأس يوحنا المعمدان . (وهي غير كنيسة جامع سبسطية) اما كنيسة الجامع التي في وسط سبسطية فقد ذكرها عدد من الحجاج من القرن الرابع فما بعد . اما الثانية التي كانت في المدينة العليا على اسم مار يوحنا فان ذكرها اقل وروداً من تلك . على ان ثلاثة من الحجاج وهم يوانس فوقاس (Phocas) الذي زار الارض المقدسة سنة ١١٨٥ وبُرتشارد من مونت سيون الذي كتب نحو ١٢٨٠ ب . م . ويوحنا بولونر زهاء ١٤٢١ قد وصفوا هذه الكنيسة وصفاً دقيقاً ينطبق على الآثار التي وجدت فهي التي ذكروها . وهذه الكنيسة تابعة لدير يوناني على حاجب الاكمة حيث كان قصر هيرودوس وهي في البقعة التي فيها وجد اولاً رأس مار يوحنا على زعم فوقاس

وقد قال فوقاس في وصفها «ان كنيسة الدير مسقوفة بقبة . وعلى جانب المذبح الشمالي يوجد غار صغير في وسطه حلقة من الرخام موضوعة على نقب عميق جداً حيث وجد اولاً رأس سابق المسيح المسجود له من الملائكة . وفي هذه البقعة دفنته هيروديا» . والكنيسة المكتشفة واقعة على جانب الاكمة وصحنها كان مسقوفاً بقبة وكان على شمال المذبح معبد صغيرة وتحتها يوجد قبو على حائطه صورة وجدان رأس يوحنا المعمدان والملائكة ساجدون له . وعلى قائمة الباب المؤدي الى القبو توجد صلبان من رسم الحجاج كالتي توجد على الممر المؤدي الى كنيسة القديسة هيلانة في كنيسة القيامة ووجدت كتابات وخطوط رسمها حجاج الارمن وغيرهم . وقد وجد في القبو قبر واحد في الصخر وقد سقف القبو بعقد مُصلب والحائط الغربي الذي فيه نقرة مغطى بالرسوم . ويرى في الرسم العلوي يوحنا المعمدان لابساً وبر الابل والسياف قريب منه جداً . اما الصورة السفلى فهي وجدان رأس المعمدان (بدون الجثة) ويرى فيها الناس يحفرون بالمعاول وفي الوسط الرأس تحيط به هالة من النور اللامع . وعلى الزوايا قديسون ينظرون

اما الكنيسة فطولها ١٤،٥٠ متراً في عرض ١٢،٩٠ وكانت كلها مع القبة والركائز مقصورة عليها رسوم لم يبقَ منها سوى القليل . وفي الزاوية الغربية الشمالية بقايا صور قديسين بجانبهم دروج . ويظهر ان هذه الكنيسة تضاءلت امام الكاثدرائية التي اخذ الصليبيون في بنائها في المدينة السفلى (اي كنيسة الجامع) لانها اضطرت ان تسلم الى تلك ما كان عندها من ذخائر يوحنا المعمدان . على ان الرهابين عزموا على ان يعوضوا عما فقدته فبنوها من جديد على ما وصفه فوقاس .

ولما كان وجدان راس يوحنا المعمدان حدث للمرة الثانية في مدينة الرها نحو سنة ٤٥٠ ولذلك فالوجدان الأول لا بد ان يكون قد حدث قبل ذلك ببضع عشرات من السنين والى هذا العصر يرجع تأسيس الكنيسة . على انه بعد القرن الثاني عشر طرأت تغييرات بنائية في داخل الكنيسة فقطع قسم منها وحول الى غرفتين استعمل احداهما مطبخاً ولعل الداعي الى ذلك دعم الكنيسة وتقويتها على اثر زلزلة . وظلت الكنيسة الى القرن الخامس عشر حين زارها يوحنا بولونر على انها بعد قرن او نحوه هجرت واستعملها مسيحيو المدينة مقبرة

(٤) كشف السور الاسرائيلي القديم وبرج اسرائيلي في شكل نصف دائرة قطره ١٣ متراً والسور عرضهُ ٢ متر . وثلاثة ابراج قائمة الزوايا من بناء هيرودس وبرج رابع هيرودسي قرب الجامع . ويظهر ان السور الروماني مر في وسط القرية الحالية تاركاً القبر الروماني المنسوب الى يوحنا المعمدان في الجامع مع الحجرة العظيمة المتضمنة الضريح خارج المدينة والى الشمال الغربي من المدينة وجد برج آخر قائم الزوايا هيرودسي

(٥) كشف عن شارع الاعمدة في الجهة الغربية من المدينة والطريق بين شارعي الاعمدة ١٦ متراً ولكنها تضيق نحو الشرق وعلى كل جانب ممشى عرضه من ٣ الى ٤ امتار ويظهر ان هنا كان سوق المدينة ومحل الصناع والباعة وكان في كل جانب من الشارع صف من الدكاكين

(٦) المرسح . وعلى الجانب الشمالي من الاكمة بين هيكل اوغسطوس والساحة العمومية (Forum) وجد مرسح كشف عن خمسة صفوف المقاعد السفلى فيه ومكان العازفين (Orchestra) مع البلاط الوسطي وقسمين من سلمين حجريين وقسم كبير من حائط الممر الافقي . وعدا عن هذه وجدت قطع محفورة من البناء المختص بدكة التمثيل . وكان للتفرجين ١٤ صفاً من المقاعد تحت الممر الوسطي ومن ٨—١٠ فوقها ويظهر ان الحائط الخلفي كان ثلاث

طبقات والحجارة ضخمة ولكن النقوش والزخرف ليست مما تكون عليه النقوش الرومانية بل هي خشنة وغير منتظمة فلا يكون تاريخها قبل القرن الثالث ب.م.

(٧) قطعة من نصب اشوري من الحجر المحلي عليها كتابة مسمارية. اما طول المساحة المنقوش عليها فهو ١٧ سنتمتراً واكبر عرض ٨ سنتمتراً وعليه بقايا ثمانية سطور. اما ما حفظ من النقش فاصغر من ان يستفاد منه معنى ما. وهي لا ريب ما بين ايام سرجون واشور بنيبال (٧٢٠—٦٥٠ ب.م.) وقد تكون اقدم وهو اول حجر اشوري وجد في فلسطين

(٨) اقنية الماء الى السامرة. وجدت قناة ماء تحت الساحة العمومية وقد كشف منها نحو ١٠٠ متر وعلى التلة الى الشمال الشرقي من قرية الناقورة التي جُرّ منها الماء الى سبسطية حديثاً وجدت بقايا قناة تحت الارض متصلة بنبعين. اما القناة فتمر في وسط كنيسة قديمة تحت الارض بين صحن الكنيسة والحنية ولا ريب ان الكنيسة حلت محل هيكل وثني قديم وتوجد قريب منها خرائب تدعى خربة مياس مما يذكر باسم Maiumas اما النبعان فيسميان عين هارون

وقد تتبع بعض رجال البعثة من هذه البقعة آثار قناة تدور حول التلال مارة بقرية جنسنيا الى نقطة في الجبل المقابل لجامع سبسطية. وتتبعوا قناة اخرى آتية من عين جنسنيا تصل الى النقطة نفسها كما انه يُشاع انه كانت قناة اخرى من نابلس الى الناقورة. غير انه بين هذه النقطة والساحة العمومية (Forum) في سبسطية وادٍ عمقه يزيد عن ١٦٠ قدماً فلا بد ان كانت قناة تتصل بسبسطية على قناطر او بسيفون (Syphon) تحت الارض. ولا ريب ان المدينة في ايام الرومانيين كانت مجهزة كفاية بالماء من الينابيع المجاورة

(٩) قبور وجد فيها بعض كتابات عبرانية ويونانية ليس لها كبير قيمة قرىء منها اسم يويشيا وهو يقابل اسم اشعيا وكتابة اخرى قرئت «مبارك أخزيا»

(١٠) هيكل اوغسطوس. (القعدة) قد كشف جميع ما يتعلق به. والدلائل تدل على ان سبسطية كان عظيمة الاهمية من القرن الاول حتى القرن الرابع بعد المسيح. وقد وجدت كتابة يونانية في مكان مفادها ان المكان كرس للالاهة سرابيس وايبس وقد ذكرنا انه شاعت فيها عبادة الالاهة كوري وظل النفوذ الوثني الى القرن الرابع حتى تغلبت الديانة المسيحية فهجرت الهياكل الوثنية وبنيت كنيسة رأس يوحنا المعمدان

العاج في السامرة

مقالة للاستاذ كراوفوت مدير الحفر في سبسطية نشرت في مجلة بلاد التوراة ولخصت بتصرف

يسهل تعليق العاج بالسامرة اذا تذكرنا بيت العاج الذي بناه أخآب (١ مل ٢٠:٣٩). غير انه قبل هذه السنة (١٩٣٣) لم يُكتشف ما يفسر لنا امر هذا البيت. وقد كان يظن انه لما كانت بيوت السامرة في عصر أخآب مبنية من الأجر والطين وقصره من الحجارة المنحوتة من صناعة البنائين الفينيقيين الذين استحضرتهم ايزابل ظهرت حجارة القصر البيضاء الصقيلة كانها العاج رونقاً فسمي قصره ببيت العاج. وقد كان العلامة ريزنر في الحفريات التي اجراها قبل ٢٠ سنة وجد قطعة من العاج حفر عليها صورة الثعبان المجنح المصري وقطعة اناء مرمري عليه خرطوش اوسوركون الثاني فرعون مصر المعاصر لاخآب. لكن تلك القطعة لم تكن سوى شذرة من قطعة أثاث هي اما صندوق او قبضة مرآة. الا ان افكارنا قد تغيرت الان فقد وجدت قطع كثيرة من العاج بين الركام والعظام والتراب واكثرها مكسر ومحروق. وبين الموجودات قسم من صفيحة جميلة محفور عليها صورة شخص جالس على عرش وهي مقعَّرة ضغطت من الثقل الذي فوقها ولكنها كسرت ولم تسحق. وكم بحثنا في التراب وغربلناه مفتشين عن قطع العاج التي سلمت من الحريق الذي دب في ذلك البيت العظيم. ولعل آخرة ذلك البيت تنبأ عنها عاموس النبي قائلاً «اضرب بيت الشتاء مع بيت الصيف فتبيد بيوت العاج وتضمحل البيوت العظيمة يقول السيد الرب» (عاموس ٣:١٥) وهي الآخرة التي حلت بذلك البيت بعد حصار الاشوريين للمدينة ثلاث سنين. وقد يكون ذلك القصر الخصوصي سقط قبلاً امام نقمة ياهو بن نمشي او بسبب نار أخرى عرضية

ومن عظيم الحظ ان بعض القطع العاجية سلمت من النار وُطمرت في التراب وحُفظ جمالها. واول ما اكتشفت كانت لينة رطبة ولم ننزعها من كتل الدلغان حتى نشفت. وكان غيرها قد اسود او احترق بفعل النار. وكثير من القطع ضيق وبعضه صفائح عليها نقر او حفر او نقوش بارزة والمقصود منها ان توضع متحاذية في افريز مستطيل. وبعضها صورها مستقلة في نفسها وبعضها ذات صلة بجاراتها لتمام معناها. ولها هنات تنزل في الحيطان او اوتاد. ولعل بعضها استعمل لتزيين الاسرة والكراسي وهكذا سمي القصر بيت العاج لما احتوى عليه من ادوات بيتية وزخارف من العاج

وهذه القطع ترجع الى العصر الاسرائيلي وهي مشابهة لقطع العاج التي وجدت في ارسلان طاش في شمال سورية وعلى احداهـــا مكتوب «سيدنا حزائيل» ويُظن انه حزائيل ملك ارام المذكور في التوراة (نحو ٨٤٠ ق.م.) وتشبه ايضاً العاج الذي وجده العلامة لايرد في تل نمرود ومما يؤيد هذا التاريخ المشابهة بين الحروف التي وُجدت على ظهرها والتي وجدت على العاج في ارسلان‌طاش وايضاً مشابهتها لحروف كتابة حزائيل

ان العاج الذي وجد في ارسلان طاش تظهر فيه آثار الفن المصري والاشوري. اما عاج السامرة فهو اقرب الى المُثل المصرية مثال ذلك الوسام الذي عليه صورة الطفل هارپوكراتيس (Harpocrates) وهو الاله هورس جالساً في وسط زهرة البشنين (عرائس النيل) وله ذؤابة على جانب واحد وهو واضع اصبعه على شفتيه وفي يده سوط وعلى رأسه تاج. اما في صورة ارسلان طاش فالطفل جالس وسط زهرة البشنين غير انه بلا ذؤابة واصبعه ليس مرفوعاً على الشفة والزهرة اشبه بزنبقة برية منها بزنبقة مائية

وبين الصور المصرية الشكل هورس برأس الصقر يقدم تمثال مآت الى الطفل هيبوكراتيس الجالس في زهرة البشنين وصورة «ها» مشخص الابدية ممســـك بجريدة نخل رمزاً الى ملايين السنين وصور «ايبس ونفتيس» مجنحين قابضين على البشنين يعبدون «تت او دجد» على ان الالاهتين هنا عاريتان من رمزيهما «وتث» بشبه الصور على عاج تل نمرود اكثر مما يرى في مصر. وايضاً رأس «ثوث» بمنقار «ايبس» وعينا «هورس» المقدستان وفرعون يضرب اعداءه وقطع من خط هيروغليفي. ان هذا الميل الى الفن المصري دون الاشوري يدل على انها اقدم من عاج ارسلان طاش

وكذا يقال في «الكروب» المحفور على احدى الصفائح فان منظره لأول وهلة اشوري غير انه مزين بما يجعله اكثر شبهاً بكروبيم العجول المصرية حارسة الابواب وله جسم اسد ورأس انسان وعليه تاج مصر العليا والسفلى وله شعر على الرأس وذؤابة وثوب يغطي قائمتيه المقدمتين وذنبه مرفوع وهو واقف في مظله من البشنين غريباً في محيطه كما هو غريب في شكله. وهـذه الصفيحة مثل حسن لاسلوب الفن الذي لا هو اشوري ولا مصري لـكنه في الظـاهر ارامي. وكذا يقال في الصفائح التي حفر عليها اسود تقاتل ثيراناً. وصفيحة أخرى عليها ابو الهول وقد نالها ضرر كبير

واكثر الاشكال على الصفائح وروداً صورة شجرة النخيل المتهدلة الغصون وهي منقورة فيها

وكثيرة الشبه بالاشكال على عاج طاش ارسلان . والامثل انهـــا استعملت لزينة الجدران . وعلوها المعتاد ١٢،٥ سنتمتراً وبعضها في علو ١٤ وغيرها اقل . اما الصفائح الضيقة فعليها رسوم شجر البشنين والشجرة المقدسة واشجار نخيل صغيرة وزنابق ونبات البـــابيروس وبراعم ونقط وشغل شعرية (البشنين = lotus)

وبين الصفائح واحدة عليها رسم بارز لاسدين رابضين في علو ٤،٥ سنتمتراً لعلها كانت على عرش او كرسي واخرى عليها حية مجنحة وعقد من الاقحوان شبه ما وجد في تل نمرود

ويظهر ان العاج كان ثميناً وقد صُرف في صناعته جهد كثير . ونقرأ ان سليمان لما صنع عرشه من العاج غشاه بذهب ابريز وهو افضل الذهب (٢ مل ١٠:١٨) وهكذا نجد في هذا القصر ادلة على استعمال التغشية بالذهب فقد وجدت قطع من ورق الذهب على الارض لكن بعضها وجد لاصقاً بالصفائح . وآثار الذهب والزجاج الملون ظاهرة على كثير من الصفائح . وفي بعضها كانت الصفيحة كلها مغطاة بالذهب والحروف الهيروغليفية مرصعة بالزجاج الازرق حتى ان الخطوط بين الاعمدة كانت منزلة بالزجاج الازرق في دقـــة شعر الخيل . وتأثير هذه الصناعة وجمالها كانا ولا ريب رائعين . ومنه نستطيع ان نفهم الاسباب التي حملت عاموس النبي ان يذم بذخ اهل السامرة « المضطجعون على اسرّة من العاج والمتمددون على فرشهم . . . الهاذرون مع صوت الرباب . . الشاربون من كؤوس الخمر » ولم نكتشف قط سريراً من العاج لكن وجد سرير في ارسلان طاش له عوارض جانبية مربعة مصفحة على ثلاث جوانب بالعاج وارجله عاج خالص منقوش عليها صور اوراق متناثرة مما يُعد اسرافاً في استعمال هذه المادة الثمينة

لكن لا ينبغي المبالغة في الثمن فقد كان للعاج مورد ثابت محلي في الايام القديمة لما كانت الفيلة تجول في ارجاء سوريا الشمالية فان تحوتمس الثـالث ذهب الى كورة نيي في اعلى الفرات حيث قتل مئة وعشرين فيلاً من اجل انيابها وبعده بثلاثماية سنة لكن دونه نجاحاً (ولعله اقل افتخاراً) اصطاد تغلث فلاسر ٢٠ فيلاً في الناحية نفسها . ولا ريب ان الاهلين كانوا يصطادونها ايضاً وحازوا كميات كبيرة من العاج وهذا يفسر لنا ذكر العاج بين قوائم النهب الذي أخذهُ ملوك اشور من مدن سوريا من ايام توكلتو أنورتا سلف اشورنا صربال الى ايام سنحاريب خلف سرجون سواء كان العاج انياباً او مصنوعاً سرراً وعروشاً ويظن ان سرير العاج الذي ذكرناه وغيره من الادوات العاجية التي وُجـــدت في القصر الاشوري في ارسلان طاش كان قسماً من الجزية التي أدّتها دمشق الى أددنيراري الثاني (٨٠٩ — ٧٩٢ ق . م)

فان الكتابة التي سجلت الجزية تذكر «الفرش والسرر» . وانا نتصور ان بعض الادوات العاجية التي وجدت في تل نمرود وامثال القطع التي في السامرة قد تكون قسماً من النهب الذي حمله سرجون نفسه من السامرة

وقد ثبت الآن وفرة العاج في تلك العصور في تلك الارجاء ولما انقرض الفيل منها جعل الملوك يجلبون العاج الافريقي كما فعل سليمان بواسطة سفن ترشيش

لكن اين كان يُحفر العاج ويعالج ؟ من الطبيعي ان يُظن ان عاج ارسلان طاش حُفر في دمشق التي اشتهرت بحذق صناعها وحيث لاتزال صناعة التنزيل والترصيع مستمرة وقد عُرض منها في المعرض العربي ادوات بينها طاولة بدروج وابواب ورقعات للعب جميعها مرصعة على هذا النمط

والا يجوز لنا ان نرتئي ان عاج السامرة حُفر في السامرة نفسها . فقد وجد فيها قسم من ناب فيل غفلاً من الصناعة وان يكن ذلك ليس دليلاً كافياً على هذا الزعم . على ان أخآب كان من اهم الحلفاء المناوئين لمملكة اشور ويمكننا ان نتصور ان الصناع جالوا من بلاط حليف الى بلاط حليف آخر ولعل اخآب استحضر حفاراً مشهوراً من حذاق صناع دمشق كما استدعى سليمان حيرام لاجل بناء الهيكل

لنقدم لاولئك الصناع شيئاً من الاكرام فانهم خلفوا صناعة حاذقة على صفائح العاج . ومما يستدعي الاعجاب غرامهم بدقة الصناعة . فان على اجنحة الالاهات قشوراً دقيقة وتطعيماً بالزجاج هو غاية في النحافة حتى اني استبعد ان لاتكون هذه المصنوعات الدقيقة قد زينت غرفة الملكة في ذلك القصر لا غرفة الملك ولعلها اميرة صغيرة عروس انشد لها الشاعر «على السوسن» «كل ثيابك مر وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الاوتار» (مز ٤٥ : ٨)

ان اكتشافنا لقطع العاج لم يُلق ضوءا على القصور الاسرائيلية فقط بل قد ساعدنا في تفهم زينة هيكل سليمان ايضاً فان كثيراً من الادوات التي وجدناها مذكورة في سفر الملوك . حيث نقرأ عن الاسود والثيران والكروبيم ففي ٢ مل ٦ : ٣٣ يقال «والمصراعان من خشب الزيتون . ورسم عليها نقش كروبيم ونخيل وبراعم وزهور وغشاهما بذهب ورصع الكروبيم والنخيل بذهب» وفي ٢ مل ٧ : ٢٢ «وعلى رأس العمودين صناعة السوسن»

هذا هو روح الصناعة البادية على عاج السامرة الذي جماله يزيد تقديرنا لمدنية الاسرائيليين

ومثلنا مثل الاسرائيليين الذين صورهم عاموس ينقذون من خراب السامرة قطعاً مع ممتلكاتهم قائلاً :

« كما ينزع الراعي من فم الاسد كراعين او قطعة اذن هكذا ينتزع بنو اسرائيل الجالسون في السامرة في زاوية السرير وعلى دمقس الفراش » فانا ننتزع من الخرائب قطعاً قليلة من العاج لا تزال جميلة تحدث فصيحاً عن امجاد ذاهبة لبيت العاج

مطبعة دار الايتام السورية — القدس

فهرس الكتاب

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

*ح = حاشية

* ح = حاشية

*ح = حاشية

*ح = حاشيه

حرف العين

*ح = حاشيه

حرف الغين

حرف الفاء

*ح = حاشية

حرف اللام

*ح = حاشية

حرف الميم

* ح = حاشية

---

* ح = حاشية

* ح = حاشية

اصــــلاح خطـا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٢١ (حاشية)	كوتبين	كوتيين
٧	١٥	يواكيم	يواقيم
٧	١٨	سكنوها ارض	سكنوها الى ارض
٧	١٩	فتشتث	فتشتت
٨	٢٦	ما بنويوسف	اما بنوسف
١١	٢	الصليبيون	الصليبيين
١٥	١٦	واسكانها	وسكانها
١٦	١٩	٣٠٩	٤٠٩
١٨	٢٠	ربع الجزية	دفع الجزية
٢١	١٠	(نحوس ٢٠٠)	(نحو ٢٠٠)
٢٢	٢	باولا	پاولا
٢٢	١٤	ثمانية	ثماني
٢٣	١٦	باالنار	بالنار
٢٩	٢	يتوسط الانكليز	يتوسط لهم الانكليز
٣٥	١٨	جرزيم	عيبال
٣٧	٢١	الموريا	المرتيا
٣٩	٧	العنم	الغنم
٥٣	٢٤	مرقه	مارقا
٥٥	١٤	معلماً ومرشداً ومبيناً	معلم ومرشد ومبين
١٥	١٤	ومرجعا	ومرجع
٥٦	١١	أخذ وهب	أخذ ما وهب
٥٨	٢٠	نولديكي	ونولديكي
٥٩	١٥	العازار	بن العازار

صفحة	سطر	خطا	صواب
٦٠	٢	العارفين	العارفون
٦٠	٥	والذين	الذين
٦٣	٨	( )	(١)
٦٦	١٩	واستحال	وتحصيل
٦٩	١	كشف	كشفت
٧٣	٢٠	صخم	ضخم
٧٣	٢٣	سوي	سوى
٧٤	١٩	جزيه	جزية
٧٥	١	نقبين	لقبين
٧٦	٤	بالعقدة	بالقعدة
٧٧	١٩	صغيرة	صغير
٧٨	٢٦	فوقها	فوقه
٨١	٢٢	مظله	مظلة
٨٢	١	طاش ارسلان	ارسلان طاش
٨٢	١٦	ثلاث	ثلاثة